

## طوابي المهديّة الباقيّة على ضفتي نيل أم درمان دراسة حالة

أ.م.د/ أسماء محمد إسماعيل \*

### المخلص:

تمثل فترة ثورة ودولة المهديّة فترة مهمة في تاريخ السودان الحديث، والتي عاشت معظم فترات تاريخها في حروب وصراعات عسكرية خاصة داخلية وخارجية ضد الحكم التركي المصري أو الإنجليزي المصري، لذلك شكّلت التحصينات الدفاعية - الطوابي - العلامة البارزة من الآثار الباقيّة لتلك الحقبة التاريخيّة التي قام بها الخليفة عبدالله وقواده على ضفتي النيل للدفاع عن عاصمته مدينة أم درمان، واستهدف البحث دراستها من حيث أماكن تشييدها وأسلوب التشييد، ومواد البناء، وعددها عند التشييد، وما تبقى منها حتى الآن، وحالتها الراهنة، ومدى تحقيقها للموازنة العسكريّة والمعادلة القتاليّة في حروب المهديّة ضد الإنجليزي، وخلصت الدراسة إلى أن الطوابي من أنواع الاستحكامات سريعة التشييد، واستنتجت الدراسة مدى ضعف هذه النوعية من الاستحكامات الدفاعية في الوصول إلى مجموعة الأهداف المراد الوصول إليها من تشييدها، ومواكبتها ومدى كفاءتها لأسلحة العصر الذي أنشئت فيه .

### الكلمات الدالة :

تحصينات؛ طوابي؛ مزاغل.

تكمن أهمية الدراسة في أنها توضح نوعية الاستحكامات الحربية التي شُيّدت في عصر الدولة المهديّة، لمنع تقدم الجيش الإنجليزي المصري، وكونها آخر ما شيده السودانيون للدفاع عن أراضيهم.

وتهدف الدراسة في المقام الأول إلى توجيه الباحثين المصريين لدراسة ومعرفة التراث الحضاري السوداني، ثم يأتي في المقام الثاني دراسة هذه الطوابي وتسجيلها وتوضيح مدى ارتباطها بالبيئة المحيطة.

وتتركز إشكالية الدراسة في قلة الصور الأرشيفية الخاصة بالطوابي، ووجود بعض هذه الطوابي في أماكن نائية وزراعية يصعب الوصول إليها، وكانت الدراسة الميدانية هي العمود الأساسي لدراستها، ويمكن عرض هذه الإشكالية أيضا من خلال عدة تساؤلات يحاول البحث الإجابة عنها:

- هل ارتبطت الطوابي بوحدة في التصميم والعناصر الإنشائية ومواد البناء؟
- هل وجهت فتحات المدافع والبنادق في الطوابي بشكل صحيح للدفاع عن المدينة؟
- العناصر الإنشائية بالطوابي، هل كانت ملائمة لتحمل قذائف مدفعية العدو؟

- الطوابي بموضعها وطرق بنائها، هل حققت الموازنة العسكرية القتالية ومن ثم النصر؟

- هل تمت صيانة الطوابي وترميمها على أسس صحيحة؟

- الأخطار التي تعرضت لها الطوابي ونوعيتها، وهل تختلف من طابية لأخرى؟  
أما عن مصادر في الدراسة، فقد استعنت كثيراً في التأسيس التاريخي للدراسة على المراجع التاريخية خاصة التي تناولت تاريخ دولة المهديّة ونشاطها العسكري، ومعركة أم درمان وحملة "كتشنر" على السودان، من أهمها مؤلفات العلامة محمد إبراهيم أبو سليم عن مدينة أم درمان العاصمة، وعن الثورة المهديّة وكتاب عصمت حسن زلفو، عن معركة كرري وتحليله العسكري لمعركة أم درمان، وكتاب "وينستون تشرشل" عن تاريخ الثورة المهديّة.

وفي الجانب الأثري للدراسة فقد استفدت من التقارير التي كتبها المرحوم الأستاذ صلاح عمر الصادق عن طوابي المهديّة في الفترة المحصورة بين أعوام ١٩٨٣م حتى عام ١٩٩٥م أثناء عمله بالهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية، وقد نُشرت بعض هذه التقارير في كتاب عن المواقع الأثرية في السودان، واطلعت على المحفوظ منها لدى وزارة الثقافة والسياحة والآثار السودانية.

كما اطلعت على الدراسات التي تعرضت بصورة مباشرة للطوابي، منها دراسة الباحث فيصل عبد الله عمر الأستاذ المشارك بقسم الآثار بجامعة دنقلا، عن "الاستحكامات الدفاعية في المهديّة في ضوء دراسة التراث الحضاري"، وبحث للباحثة بدرجة الماجستير تسنيم حمد صلاح الدين، بعنوان "لمحة لآثار الدولة المهديّة بمدينة أم درمان وكيفية المحافظة عليها"<sup>(١)</sup>، وهناك بحث للباحث ياسين محمد محمد شارك به في مؤتمر للآثار بين العرب.

وبما أن الدراسات البحثية هي سلسلة متواصلة يُكمل بعضها بعضاً ويسد جوانب ما أغفله سابقه، ولكل باحث رؤيته وطرحه، ولهذا فالبحث يأتي في دور تكاملي يتناول جوانب أخرى يُضيف ويصوب على من سبقه، حتى تكتمل الدراسة، فمثلاً الدراسات السابقة أغفلت التوثيق والتسجيل الأثري وهو جانب مهم عند الأثريين، كذلك حاولت في دراستي الخروج عن هذا النمط المتوارث في الدراسات الأثرية الذي يعتمد على السرد التاريخي، واجتهدت في تقديم نمط مختلف عن الدراسات السابقة، بدراسة الاستحكامات العسكرية لدولة المهديّة في ضوء البيئة المحيطة ومحاولة الربط بينهما، باعتبار المبنى الأثري جزءاً من البيئة التي تضمه وتحتويه، ومن ثم فإنه لا يمكن فهمه إلا من خلال ذلك الإطار.

(١) هما ورقتان بحثيتان قدمتا لمؤتمر بناء الدولة السودانية في المهديّة، والذي انعقد في الفترة من ١١ - ١٢ / ٨ / ٢٠١٦م بمركز الدراسات المهديّة بجامعة الإمام المهدي والباحثان مازالا تحت النشر حتى الآن، وقد اطلعت عليهما.

والجديد أيضا عن الدراسات السابقة التسجيل الأثري والمعماري للطوابي الذي قُمت به في رسم تخطيط لجميع الطوابي، وفي تسجيل جميع أجزاء الطابية أو المتبقي منها وعناصرها ووصفها الوصف الأثري السليم، ومنها تصوير الطابية تصويراً كاملاً لتكون وثيقة شاهدة على ما كانت عليه، حتى يمكن من خلالها الاستعانة في ترميمها، وشمل الوصف القياسات لكل عناصر الطابية وموقعها، وتاريخها، ومنشئها، والتخطيط العام ومكوناتها المعمارية، والوصف الأثري والوضع المعماري الحالي، ونظام ومواد البناء وحالتها الراهنة ومظاهر التدهور فيها وأماكنها وحجمها وخطورتها، ومياه الأمطار ومدى خطورتها، والتعديات التي تمت عليها، وسوء استغلالها، والترميمات السابقة من واقع الملفات والتقارير المحفوظة بالهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية طبقاً لتسلسلها الزمني مع تحديد الأجزاء التي رمت والمواد التي رمت بها والمبالغ التي أنفقت عليها، ومن شأن هذا التسجيل تسهيل ترميم ما يحتاج منها إلى ترميم في الفترات القادمة، أتبع ذلك دراسة تحليلية شملت الوظيفة والتخطيط، والموقع والتوجيه المعماري، ومواد البناء، وهندسة الأساسات، والعناصر الدفاعية والتسليح، وتأثير الفيضان، والتعديلات الإنشائية .

لذلك وجدت أن أنسب ما يلائم منهجية الدراسة هو المزج بين المنهجين الوصفي والتحليلي مع التأسيس التاريخي، ولذلك قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** التحصينات التي شيدها قواد الخليفة عبد الله لصد تقدم حملة "كتشنر" العسكرية في فركة والحفير مشو والديم والشونة والمتمة.

**المبحث الثاني:** تشييد الطوابي على النيل للدفاع عن مدينة أم درمان.

**المبحث الثالث:** الدراسة التحليلية، أتبعتها بخاتمة ونتائج البحث والتوصيات ثم مصادر ومراجع البحث.

وتخلص الدراسة إلى أن الطوابي من أنواع الاستحكامات التي تُشيد بسرعة وبمواد بناء بسيطة ومتوفرة في مواقع البناء، وكان للموقع والبيئة المحيطة التي شيّدت فيها الطوابي أثر في مواد البناء التي تشيد منها الطابية، فمنها ما شُيد بالجالوص، ومنها ما شُيد بالتراب المكون من الأحجار والحصى، أو بتراب الرقطة ومنها ما غلب عليه الجير.

وتوصي الدراسة بأن تقوم الهيئة العامة للآثار والمتاحف بصيانة هذه الطوابي، وأن تزيل التعديلات عليها، والعمل على زيادة الوعي الأثري للحفاظ عليها.

**- تمهيد:** التحصينات الدفاعية قبل المهديّة:

إن فكرة تشييد التحصينات من أسوار وحصون وقلاع وأبراج وطوابٍ تُعد من الموروثات المعمارية في السودان، فكان منها ما شُيد لمراقبة الحدود وحمايتها، ومنها ما شُيد لحماية الحكام ومنها ما شُيد لحماية سكان المدينة كما اختلفت أماكن تشييدها، فمنها ما شُيد على النيل في مواضع اتسمت بضيق المجرى وأحياناً عند انحناءاته وربما في أماكن وجود صخور تعرقل سهولة حركة مرور السفن ليسهل عملية المراقبة والسيطرة على أي عدو يحاول العبور في النيل، ومنها ما شُيد على تلال

مرتفعة لضمان الدفاع عن التجمعات السكانية حولها، مع توفير أكبر قدر لحمايتها من هجمات الأعداء المباغثة، ومنها ما شيد في مناطق متفرقة وصفت بأهميتها وقت الإنشاء<sup>(٢)</sup>.

وُجِدَت التحصينات الدفاعية عبر تاريخ السودان القديم عبر فترات تاريخه المتعاقبة، فعرفت المجموعة الثالثة تشييد الأسوار حول القرى، فمثلا أظهرت الحفائر قرية يحيط بها سور به ثلاث بوابات في وادي السبوع وأخرى في عمدا<sup>(٣)</sup>، وفي مملكة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠) ق.م شُيِدَت الحصون المنيعه، والأسوار حول المدينة وحُفرت الخنادق، ولما توغلت الدولة المصرية الوسطى في النوبة السفلى شُيِدَت القلاع في المنطقة بين الشلال الأول والثاني ووادي حلفا، وبلغ عددها أربع عشرة قلعة، كان منها قلعتا بوهين وكوبان لحماية حدودها والمحافظة عليها، وتأمين التجارة وبعثات التعدين<sup>(٤)</sup>، كما شُيِدَت القلاع في الحضارة النوبية المسيحية فيما بين الحدود المصرية وحتى الشلال الخامس كان من أشهرها قلعة دنقلا العجوز، وقلعة كجي، وقلعة الضيفة، وحصن البخيت<sup>(٥)</sup>.

شيد الشايقية قلاعاً عديدة احتموا فيها في معاركهم ضد إسماعيل باشا بن محمد علي<sup>(٦)</sup>، ومن أمثلة قلاعهم: قلعة مروى شرق، ويُذكر أن مُشيدَها الملك علي ود محمود حفيد الملك شاويش العدنابي، مازال يوجد برجان من بقايا هذه القلعة، وربما استخدم الشايقية الحصون التي شُيِدَت في العصور السابقة عليهم بعد ترميمها، كما شيدوا قصوراً أحاطوها بأسوار ضخمة، ألحقوا بها أبراجاً فُتحت في أعلاها فتحات للمراقبة أو للدفاع، مثل قصر الشيخ علي ود طه أبو رقيب الذي ينتهي نسبه إلى العدناب أحد فروع الشايقية<sup>(٧)</sup>، وشيد النوبيون الحصون لصد غارات الشايقية المتكررة على أراضيهم<sup>(٨)</sup>.

عُرفت الطوابي في المناطق الجنوبية عند الشلال الرابع والخامس منها طابية دم التور، وطابية الكويب<sup>(٩)</sup>، وفي العصر العثماني شيدت قلاع ورممت قلاع قديمة لحفظ أمن الحدود الجنوبية للدولة العثمانية، ومن أمثلة هذه القلاع قلعة صاي وقلعة إبريم، وقلعة تنري وقلعة حنك<sup>(١٠)</sup> وفي الشمال شُيِدَت القلاع إلى جانب الطوابي في المحس ودنقلا العجوز.

(٢) أحمد، محمد فتح الرحمن. "العمارة الإسلامية"، ص ٢٣٩.

(٣) وليام، آدمز، "النوبة"، ص ص ١٥٢-١٥٣، ١٥٥-١٥٧.

(٤) بكر، محمد إبراهيم. "المدخل"، ص ص ٣١-٣٢.

(٥) أحمد، محمد فتح الرحمن. "العمارة الإسلامية"، ص ص ٧٩-٨١، ١٢٩، ٨٦-١٣٠.

(٦) شبيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٧) أحمد، محمد فتح الرحمن. "العمارة الإسلامية"، ص ص ١٤٥-١٤٧، ١٥٩.

(٨) الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة"، ص ٢٣٩.

(٩) الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة"، ص ٢٤٣.

(١٠) سعيد، عبدالرحمن إبراهيم. "الأثار العثمانية" ص ص ١٨٧، ١٤٩، ١٤١، ٢١٦.

تعددت التحصينات الدفاعية التي شيدها غوردون<sup>(١١)</sup> باشا حول مدينة الخرطوم لدرء خطر الثورة المهديية منذ عام ١٨٨٢م، فشيّد خندقاً جنوب المدينة، امتد حوالي أربعة أميال من النيل الأزرق للنيل الأبيض، وأنشأ ساتراً تريبياً في الجانب الداخلي للخندق، فتح به ثلاث بوابات صنعت لها أبواب من الحديد السميك القوي، هي بوابة المسلمية على الجانب الجنوبي الشرقي، وبوابة بُري، وبوابة الكلاكلة، وشيّدت ركائزها من الطوب الأحمر والجير والرمل، كما شيّد غوردون أربع طوابق، هي طابية بُري للدفاع عن الجانب الشرقي للنيل الأزرق، وطابية المقرن، وطابية أم درمان على الضفة الغربية للنيل الأبيض، وطابية في الخرطوم بحري (بجوار قرية قبة خوجلي) على الضفة الشمالية للنيل الأزرق<sup>(١٢)</sup>.

إلى جانب ذلك شيّد طابية أخرى عام ١٨٨٤م حلت محل طابية بُري بعد تدهورها، وأمر بزيادة ارتفاع الحائط نحو ٢٠سم، فتح به فتحات المزاعل<sup>(١٣)</sup> وأحياناً يطلقون عليها المزاكل، ولما خلف انحسار النيل الأزرق وراءه مساحة كبيرة من أراضي طرح النهر، أمر بحفر خندق امتداداً للخندق السابق، ومد سلسلة من الجنازير من نهايته حتى الشاطئ المقابل<sup>(١٤)</sup>.

**المبحث الأول: التحصينات التي شيدها قواد الخليفة عبد الله<sup>(١٥)</sup> :**

<sup>(١١)</sup> غوردون، ولد عام ١٨٣٣م، وفي شبابه التحق بسلاح المهندسين الملكيين، وشارك في حرب القرم، وفي عام ١٨٦٣م قاد قوة من الصينيين والأوربيين لقمع متمردين صينيين والدفاع عن شنغهاي، والتحق بخدمة الخديوي بالسودان ففي عام ١٨٧٤م عين حاكماً عاماً على المديرية الاستوائية حتى عاد إلى إنجلترا عام ١٨٧٦م، ولكنه عاد مرة أخرى للسودان عام ١٨٧٧م حاكماً عاماً، وظل في منصبه حتى قتله الأنصار بعد حصار الخرطوم عام ١٨٨٥م. ثوبير لد، أ.ب. "المهديية"، ص ٣٩-٤٤؛ شبيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٢٠٦-٢٤١، ٣٥٣.

<sup>(١٢)</sup> ثوبير لد، أ.ب. "المهديية"، ص ١٥٦-١٥٧؛ سيد أحمد، أحمد أحمد. "تاريخ مدينة الخرطوم"، ص ٤١٨-٤٢٣.

<sup>(١٣)</sup> المزاعل، فتحات مخروطية الشكل متسعة من الداخل لتمكن المدافعين من توجيه سهامهم للعدو، وضيقة من الخارج لتعوق تصويبات العدو من الخارج، وقد استخدمت في العمارة الحربية الإسلامية، في القلاع والحصون، يحيى، سوسن. "منشآت السيف والقلم"، ص ٥٠، أحمد، فتح الرحمن محمد. "العمارة الإسلامية"، ص ٦٠.

<sup>(١٤)</sup> شبيكه، مكي الطيب. "السودان والثورة المهديية"، ج ٤، ص ٥٩.

<sup>(١٥)</sup> الخليفة عبدالله، هو عبدالله بن السيد محمد، ولد عام ١٨٤١م، في منطقة رهيد البردي جنوب دارفور، وينتمي لقبيلة التعايشة، عرف بالذكاء والفراسة، ولما سمع بالإمام محمد بن أحمد بحث عنه حتى وجده ودخل في زمرة أتباعه، وتزوج ابنته، وأصبح أقرب الناس إليه، وخاض معه جميع معاركه ضد الأتراك، وولاه قيادة الجيوش، وكان يُعد بمثابة المدير التنفيذي لكل أمور الجيوش والحشود، وتولى الخلافة بعد وفاة المهدي عام ١٨٨٥م، وأدى خوفه الشديد على ضياع ملكه وسلطانه أن شك في كل من يحيط به، عامل الناس بقسوة شديدة، قامت ضده ثورات داخلية وكانت له رؤى توسعية جرت عليه مصاعب جمة مع جيرانه، كان من أهمها رغبته في فتح مصر، ولكن فشل حملته جعله يتخلى عن سياسته هذه، وانتهى حكمه بهزيمة جيوشه في معركة أم درمان في ٢ سبتمبر

عُرفت الطوابي بأنها من أصغر المباني العسكرية، وتأخذ عدة أشكال منها المربع أو المستطيل<sup>(١٦)</sup> وبها فتحات يستخدمها المقاتلون سواء أكانت للمراقبة أو لخروج فوهات المدافع والبنادق أو السهام<sup>(١٧)</sup>، وتندرج في الصغر حتى تُصبح مثل النمل وتُستخدم للدفاع السريع، وللهجوم في نفس الوقت، وتكمن أهمية طوابي المهديّة في أنها تُعدّ آخر وسيلة دفاعية شيدها السودانيون للدفاع عن أراضيهم ضد الغزاة<sup>(١٨)</sup>، ولم تكن قاصرة على مدينة أم درمان أو المواضع القريبة منها، بل شُيّدت في أماكن متفرقة على نهر النيل، بهدف مساعدة قوات المهديّة في التصدي لغزو قوات الجيش الإنجليزي المصري، ونشبت عدة معارك بين القوتين، لكن سيقصر الإشارة هنا إلى المعارك التي دارت في مواضع شيد بها قوات الخليفة طوابي وتحصينات من أجل إعاقة تقدم الجيش الغازي من أهمها:

**١ - تحصينات فرقة<sup>(١٩)</sup> :**

استولى قائد المنطقة الجنوبية للجيش الإنجليزي في مارس ١٨٩٦م على منطقة عكاشة التي تعتبر أول نقطة داخل حدود السودان، فهب محمد ود بشارة<sup>(٢٠)</sup> والي دنقلا بتشديد التحصينات لصد هجوم الجيش الإنجليزي على الأراضي السودانية، كان منها ما شيده في قرية فرقة في يونيو ١٨٩٦م، وكانت التحصينات عبارة عن طوابٍ وخنادق على طول الشاطئ<sup>(٢١)</sup>، وقد استطاع "كتشنر"<sup>(٢٢)</sup> قائد جيوش حملة السودان دخول قرية فرقة والاستيلاء عليها<sup>(٢٣)</sup>.

عام ١٨٩٨م، ولكنه انسحب من المعركة واتجه جهة كردفان حيث قُتل في معركة أم ديبكرات في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩م، وشيّدت على قبره قبة هناك، للمزيد راجع: شقير، نعم. "تاريخ السودان"، ص ٨٩١، ٢٦٩-٩٠٢؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٥٦٦-٥٦٧، ياجي، فيفيان أمينة. "الخليفة عبدالله"، ص ٢١؛ الصاوي، عبدالعزيز حسن. /جادين، محمد علي. "الثورة المهديّة"، ص ١١١-١١٥؛ شبيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٥٦.

Wingate, F. R. "Ten years captivity." p.15,

Voll, JohnObert. "Historical dictionary." p.28

<sup>(١٦)</sup> كما أخذت الطوابي شكلاً مستديرًا أو جدارًا طويلًا يتوسطه قسم نصف دائري، كما هو موجود في طوابي المهديّة الباقية على ضفتي نيل أم درمان.

<sup>(١٧)</sup> أحمد، محمد فتح الرحمن. "العمارة الإسلامية"، ص ٥٨.

<sup>(١٨)</sup> الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة"، ص ٢٣٩.

<sup>(١٩)</sup> تقع فرقة جنوب حلفا ب ٧٥ ميلاً شبيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٣٤.

<sup>(٢٠)</sup> محمد ود بشارة، ولد عام ١٨٦١م في قرية بالقرب من دارا بدارفور، ينتمي لقبيلة التعايشة، ويُعد من أكفأ قادة الخليفة عبدالله الشبان، عُين والياً على دنقلا عام ١٨٩٥م عوضاً عن يونس ود الدكيم، وأُتصف بالشجاعة بجانب حنكته العسكرية فلم يذكر تشرشل اسمه إلا مقروناً بكلمة الشجاع. زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ١٩٤؛ ياجي، فيفيان أمينة. "رجال حول المهدي"، ص ٩٣-٩٥.

Hill, Rihard. "Biographical." P.254

<sup>(٢١)</sup> تشرشل، ونستون. "تاريخ الثورة المهديّة" ص ١٣٩-١٤٠.

## ٢- تحصينات قرية الحفير مشو وكرمة:

شيد ود بشارة استحكاما في الكرمة، و ثلاث طواب في عام ١٨٩٦م في قرية الحفير مشو<sup>(٢٤)</sup> غرب النيل، ووقع اختيار ود بشارة على هذا الموقع بعد بحث طويل، فعرض النيل في هذه المنطقة يبلغ حوالي ٦٠٠ ياردة، وهو أقصى مدى تبلغه نيران مدافعه الموجهة لسفن العدو، وكان الموقع محاطاً بأشجار النخيل الكثيفة التي كانت تُخفي هذه التحصينات من جهة، ومخبأً لبقيّة البنادق من جهة أخرى، كما حفر خندقاً حول الطوابي ليتحصن بداخلها حملة البنادق<sup>(٢٥)</sup>، وزود الطوابي بستة مدافع جبل ومدفع رشاش، وكانت تلك الطوابي تحت قيادة على ريقون (مصري الجنسية)، كما كان المدفعية من المصريين أو من الباشيزق<sup>(٢٦)</sup>.

وقد دارت معركة في قرية الحفير مشو في ١٩ سبتمبر ١٨٩٦م، قُصفت فيه الطوابي الثلاث وتهدمت إحداها، وأصيب ود بشارة بعد استهداف خيمته بقذيفة، وأغرق وابور<sup>(٢٧)</sup> الطاهرة في مياه النيل<sup>(٢٨)</sup>، ورغم ذلك نجحت وابورات الجيش الإنجليزي في تجاوز القرية بصعوبة بالغة، فظن ود بشارة أن "كتشنر" ينوي الزحف جنوباً

(٢٢) السردار هيربرت كتشنر، ضابط بريطاني، عمل كضابط اتصال بين غوردون وحملة الإنقاذ، ومحافظة لسواكن وسردار للجيش المصري، وقائد جيوش حملة السودان، تمت مكافأته من حكومته بعد انتصاراته المتوالية في السودان فمنحته لقب لورد بعد انتصاره في موقعة كرري ١٨٩٨م، واختار لقبه الإضافي فُسِمى اللورد كتشنر أوف الخرطوم، وترقى في المناصب حتى تولى وزير حرب في بلاده في الحرب العالمية الأولى، وقتل في انفجار سفينة حربية عام ١٩١٦م. شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، ص ٩٤٤؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٢٧٥-٢٧٨، ص ٩٤٤؛ شبيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٦٩-٤٧٠.

(٢٣) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ١٩٤-٢٠٧.

(٢٤) قرية الحفير مشو، تقع شمال دنقلا عاصمة الولاية الشمالية في السودان، غرب نهر النيل.

(٢٥) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٢١٣، ٢٠٩.

(٢٦) الباشيزق، كلمة تركية تعني الجنود غير النظامية الذين خدموا في الجيش التركي، عملوا كجنود مرتزقة مقابل مبالغ كبيرة من المال، وكان جيش محمد علي الذي غزا السودان يتكون من أعداد كبيرة منهم ومن جنسيات مختلفة مثل الأكراد والمغاربة والأرناؤوط والقبازصة والألبان، وأطلق الأتراك كلمة الباشيزق على السودانيين الذين قبلوا العمل معهم كجنود غير نظاميين، وتعد قبيلة الشايقية من أشهر القبائل التي عملت كقوات غير نظامية: نصرالدين، محمد عبدالقادر. "العسكرية"، ق.م، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢٧) وابور، من السفن الحربية في الأسطول المصري، عرفت في القرن التاسع عشر، وكانت تعمل بالبخار، تحمل اثني عشر مدفعاً، و ١٧٩ مقاتلاً. ماهر، سعاد. "البحرية في مصر الإسلامية"، ص ٣٧٢.

(٢٨) تشرشل، ونستون. "تاريخ الثورة المهدية" ص ١٤٢-١٤٣؛ شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، ص ٨٦٨-٨٧٠.

واحتلال دنقلة، فخرج الأنصار من الحفير مشو واتجهوا جنوباً للدفاع عن دنقلة خشية أن يتحرك "كتشنر" بجيشه ويحتلها<sup>(٢٩)</sup>.

### ٣ - تحصينات الدير:

كانت قرية الدير<sup>(٣٠)</sup> هي النقطة التالية التي شيد قادة المهديّة بها طوابي بعد الحفير مشو، فزودوها بأربعة مدافع، وحفروا خندقاً طويلاً في شمالها، كما استغلوا طابية قديمة في قرية الشونة، وضعوا بها المدافع، وحفروا بها خندقاً وشيدوا ساتراً ترابياً لحمايتهم، ودارت مناوشات عدة بين الجيشين انتهت بانسحاب الأنصار وذلك لتفوق الجيش الإنجليزي المصري في العدد والتسليح<sup>(٣١)</sup>.

### ٤ - تحصينات شمال المتمة والنخيلة:

شيد الأمير محمود بن أحمد<sup>(٣٢)</sup> ست طوابي على الضفة الغربية للنيل شمال المتمة بثلاثة أميال، ثم أقام طابيتين إضافيتين وزودها بأحد عشر مدفعاً، وعززها بتشييد ثلاث طوابي جديدة في جنوب المدينة<sup>(٣٣)</sup>، كما حفر خندقاً عمودياً على الضفة الغربية لنهر النيل زوده بالبنادقة، وحفر خندقاً مستديراً في النخيلة، اختار له منطقة كثيفة الأشجار، وأقام ساتراً ترابياً ترك به فتحات، ثم أحاطه بزرية<sup>(٣٤)</sup> من

<sup>(٢٩)</sup> شببيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، صص ٤٣٧-٤٣٧، الجمل، شوقي. "تاريخ

سودان وادي النيل"، صص ٧٠٩-٧١١

<sup>(٣٠)</sup> الدير، قرية تقع على ترعة قديمة، وتبعد عن النيل نحو ميل تقريباً، ونحو ثلاثة أميال شمال مركز دنقلة الأوردي، كانت عبارة عن معسكر أقامه النجومي، بلغت مساحتها حوالي ثلاثة أميال طولاً، ونصف ميل عرضاً، واستعمل الأنصار كلمة دير للتعبير عن المعسكر. شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، ص ٨٧١؛ الصادق، صلاح عمر "طوابي المهديّة"، ص ٢٣٩.

<sup>(٣١)</sup> شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، صص ٨٧٠-٨٧٦، الجمل، شوقي. "تاريخ السودان وادي النيل"، صص ٧٠٩-٧١١

<sup>(٣٢)</sup> محمود ود أحمد، ولد عام ١٨٦٥/١٩٠٦م هو ابن عم الخليفة عبدالله، فتولى تربيته ليؤهله لتولي مناصب قيادية في الدولة، فولاه حكم دارفور وكردفان في السادسة والعشرين من عمره، فشهدت المنطقة الاستقرار بعد فترة عصيبة من الاضطرابات، كما انتعشت الزراعة والتجارة وعم الرخاء بعد شهور قصيرة من حكمه، فأطلق عليه أهل دارفور محمود عسل، وصفه المعاصرون له بالإداري الكفاء، إلا أنه لم يكن استراتيجياً محنكاً، فعندما تولى قيادة الجيش في يوليو عام ١٨٩٧م الذي قضى على عصيان عبدالله ود سعد في المتمة، ارتكب جيشه جرائم من قتل وحشي وسبي، حتى وصفت بأعنف مجازر الدولة المهديّة. شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، صص ٨٨١-٨٨٢؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٢٢٤، حاشية ١؛ شببيكه، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٤٦.

Hill, Rihard. "Biographical." p.224 .

<sup>(٣٣)</sup> تشرشل، ونستون. "تاريخ الثورة المهديّة" صص ١٩٣، ١٩١، ١٩٠.

<sup>(٣٤)</sup> الزريبة، أطلق على المكان الذي يُرى فيه الخيول أو الماشية، وكانت تحاط بزربي حزم من البوص أو الغاب ثم يشد بالحبال ثم يليس بالطين ليزداد تماسكاً، وجرت العادة في السودان بتسمية الحظيرة زريبة لما قد زربت من الحظائر بشوك الشجر، أو بالسلك الشائك، وتطلق كلمة زريبة عند عامة أهل دارفور على أسواق المواشي وأسواق المحاصيل، ويذكر التونسي أنهم يطلقوها على السور الخارجي للمنازل المشيد من الشوك، كما أورد لنا وصفاً لزريبة السلطان عبدالرحمن الرشيد



الشوك<sup>(٣٥)</sup>، (شكل رقم ١) وفي ٨ إبريل عام ١٨٩٨م دارت معركة مروعة في النخيلة عرفت بمعركة عطبرة، انتهت بهزيمة الأنصار وأسر القائد محمود بن أحمد، وفي النهاية كانت المعركة انتصاراً للفن الحربي والسلاح الحديث<sup>(٣٦)</sup>.

### المبحث الثاني: تشييد الطوابي على النيل للدفاع عن مدينة أم درمان<sup>(٣٧)</sup> :

شيدت هذه الطوابي لمنع تقدم الجيش الإنجليزي المصري، وهي آخر ما شيده السودانيون للدفاع عن أراضيهم، وتذكر المصادر التاريخية أن فكرة إنشائها ترجع لرأي عرضه كل من الأميرين عثمان دقنه<sup>(٣٨)</sup> وإبراهيم الخليل<sup>(٣٩)</sup> في أحد مجالس

أحد سلاطين دارفور بأنها كانت مُشيده من ثلاثة صفوف من شوك الكثر والحشأب بارتفاع أكثر من قامة، ووضعت جذوع الأشجار بين كل صفين، مع وجود تفاريع، حفرت لها في الأرض خُفراً عميقة،التونسي، محمد بن عمر. "تشحيد الأذهان"، ص ص ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٤؛ إسحق، إبراهيم آدم. "معجم اللهجة العامة" ص ٢٤٤.

<sup>(٣٥)</sup> شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ص ٨٨٧، ٨٨٥.

<sup>(٣٦)</sup> شبيكة، مكى الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٤٦.

<sup>(٣٧)</sup> أم درمان، تعتبر عاصمة السودان الوطنية، اختارها الإمام المهدي عاصمة له بعدما كره سكن الخرطوم بعد إسقاطها عام ١٨٨٥م، لأنها من وجهة نظره محل سكن الكفرة، وكان موضع أم درمان أقرب للخرطوم من غيرها من المواضع، مع توفر ميزة مهمة في موضعها أنه لا يفصله النهر عن كردفان والغرب مما يسهل التوجه غربا إذا حدث هجوم عليها، وشيدت المساكن فيها في بداية الأمر من فروع أشجار القصب والطين (الرواكيب والقطاطي)، ويشكل مباني الجالوص ٩٠% من مبانيها والباقي من الطوب الأحمر والأخضر، وكان بها بناؤون مهرة متخصصون في الجالوص، ومن أشهر منشآتها حالياً قبة الإمام المهدي وبيت الخليفة وبوابة عبدالقيوم والطوابي. سلاطين، كارل ردولف. "السيف والنار" ص ٢٧١؛ أبوسليم، محمد إبراهيم. "تاريخ الخرطوم"، ص ٨٩؛ فوزي، إبراهيم باشا. "كتاب السودان"، ج ١، ص ١٥، ج ٢، ص ٢٩٢؛ بن عوف، ميرغني عبدالقادر. "أم درمان"، ص ١٩٤.

Rehfish, F. "a sketch of the early history." no.45, vol. xlv, 1964, p.41.

<sup>(٣٨)</sup> عثمان دقنه (١٨٤٠م-١٩٠٨م)، ينتمي لعائلة بيجاوية من فرع الدقناب، كان من أثرياء سواكن بسبب عمله بالتجارة في شبابه، واعتقلته القوات التركية كثيرا لكرهه لهم، وكان المهدي بالنسبة له أملة المنشود، فالتحق به وبيعه وعينه قائدا على شرق السودان، وبعد أعظم قائد في المهديّة، ونجا من معركة كرري، ومعركة أم ديبكرات واتجه نحو تلال البحر الأحمر، ولكنه أُوشي به وأسر في يناير ١٩٠٠م وأرسل إلى رشيد وقضى غالب الجزء الأخير من عمره معتقلا، ونقل إلى دمياط مع بعض الأمراء أواخر عام ١٩٠١م، ثم نقل إلى وادي حلفا في ديسمبر ١٩٠٨م، حيث توفي هناك، وكان عمره خمسة وثمانين عاما. عبدالحمود أبو شامة، من أبا إلى تسلهي، ص ٢٢٣؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ص ٢٥١-٢٥٦؛ شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ص ٩٦١-٩٦٢؛ شبيكة، مكى الطيب. "السودان عبر القرون"، ص ٤٥٩.

Ibrahim, Hasan Ahmed. "the policy of the condominium." PP.34-36.

Holt, P. M. "a modern history of the Sudan." p.115.

<sup>(٣٩)</sup> إبراهيم الخليل بن أحمد، بن عم الخليفة عبدالله، وأخو القائد الشهير محمود بن أحمد، ولد في دار الرزيقات، وتعلم بالخلوة، واستدعاه الخليفة قبل أن يتم العاشرة مع إخوته إلى بيته ليرعاه ويتربى تحت يديه، وكان من أكثر أمراء التعايشة تواضعا وسماحة خلق، وكان أكفأ قائد في الميادين بعد عثمان دقنه، وكان متزوجا من إحدى بنات القائد عبدالرحمن أبو عنجة، وقتل في معركة

الحرب التي كانت تُعقد في الشهور الأخيرة مع الخليفة عبدالله، بسبب ازدياد خطر الغزو الإنجليزي المصري المشترك، فوافق الخليفة وأمر بتشبيدها للدفاع عن عاصمة حكمه أم درمان، وأوكل أمر تشبيدها لأخيه يعقوب<sup>(٤٠)</sup>، وساعد في تصميم الطوابي أحد المصريين يُعرف باسم يوسف منصور الذي كان يعتبر المسئول الثاني عن استحکامات المدفعية، وكانت لديه خبرة هندسية وكفاءة عالية في هذا المجال، وكان يعرضها على الأمير يعقوب الذي كان يقوم بدوره بالتعديلات المطلوبة من وجهة نظره<sup>(٤١)</sup>، وهذه الطوابي موزعة كالاتي:

### ١ - طوابي السبلوقة:

أدرك الخليفة عبد الله وقادة جيوشه أن من يحتل السبلوقة أولاً يستطيع السيطرة على النهر والتحكم فيه، لذا كان اختيار هذا الموضع الاستراتيجي لتشبيد طوابي فيه ينم عن بعد نظر عسكرياً، لأن ضيق المجرى وكثرة الجزر في هذه المنطقة، تجعل من الموقع مانعا دفاعيا يمكن استغلاله لصد تقدم سفن العدو<sup>(٤٢)</sup>.

تحرك يوسف منصور في ١٤ مايو ١٨٩٨م ومعه مائتان من الملازمين لبناء الطوابي هناك، وفي نفس الوقت سُيرت قوة من المشاة للسيطرة على الموقع انتظاراً لوصول محمد ود بشارة قائد المنطقة الشمالية، وصارت عملية البناء بهمة عالية، وأرسل الأمير يعقوب الأمير سيد جمعة القائد العام للصفة الغربية للتفتيش على عمليات البناء، ولتنظيم وضع المدافع<sup>(٤٣)</sup>، وتم بالفعل تشبيد أربع طوابي بالجهة الغربية، وطابية واحدة بالجهة الشرقية. كان بكل طابية ثلاث فتحات للمدافع<sup>(٤٤)</sup> (لوحة رقم ١)، لم يتبق منها سوى بقايا لطابية واحدة.

كرري، أبوسليم، محمد إبراهيم. "الخصومة في دولة المهدي"، ص ١٤٧؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري" ص ص ٢٦٣-٢٦٥.

(٤٠) الأمير يعقوب محمد تورشين ١٨٤٠-١٨٩٨م، (ويذكر ريتشارد هل أنه ولد عام ١٨٥٥) هو الأخ غير الشقيق للخليفة عبدالله، انضم للمهدي عام ١٨٨١م، كان له دور كبير في المعارك ضد الأتراك، ووصل إلى قدير بعد أن عين المهدي خلفاءه، فعينه أميراً قائداً للراية الزرقاء، ويعد تولى أخيه الخلافة جعله وزيراً له، وقائداً للجيش، ومستشاراً له، واشتهر بفتنة وذكاء حاد وحل للمشكلات لذلك أُطلق عليه (جراب الرأي)، وكان يقدره الناس، وقتل في معركة أم درمان؛ سلاطين، كارل ردولف. "السيف والنار"، ص ١٢٩؛ شقير، نعم. "تاريخ السودان"، ص ٦٤٧، ٨٩٤؛ ثيوبرلد، أ.ب. "المهدي" ص ٢٥٩؛ هولت، ب.م. "الدولة المهدي"، ص ٢٧١؛ هل، ريتشارد. "معجم تراجم"، ص ٣٩؛ ياجي، فيفيان أمينة. "رجال حول المهدي"، ص ص ٣٦-٤٢؛

Wingate, F. R. "Ten years captivity." pp.313,324.

(٤١) الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهدي"، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٤٢) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٤١.

(٤٣) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ص ٣٤٢-٣٤٣، ٣٤٨.

(٤٤) تشرشل، ونستون. "تاريخ الثورة المهدي" ص ٢٣٧؛ في حين ذكر أبوسليم أنه سبعة طوابي. أبوسليم، محمد إبراهيم. "أم درمان (٤)"، ص ١١.

أمر الخليفة عبدالله بإخلاء موقع السبلوقة فيما بعد، وكان قرار الخليفة هذا ناتجاً عن رغبته في تجميع رجاله حوله من جهة، ولعدم قدرته على إمدادهم بالمؤن والسلاح من جهة أخرى<sup>(٤٥)</sup>، كما كان لمخابرات وجواسيس وينجت<sup>(٤٦)</sup> دور كبير في اتخاذ الخليفة هذا القرار، فقد كانت لديه عيون وجواسيس في السودان امتدت إلى بيت الخليفة نفسه، واستطاع بواسطتهم الإلمام بكل ما يجري في البلد، فقد علم وينجت من عملائه رغبة الخليفة في نقل المدفعية إلى السبلوقة، فأمرهم بعرقلة ذلك وبذل كل ما يستطيعون لإثناء الخليفة عن هذا القرار، كما كان الخليفة يخشى من أهل الشمال، ويشك في ولائهم، ويخشى من وقوع معركة بعيدة عن أم درمان.

كان ضيق النهر عند مضيق السبلوقة مع مناعة الطوابي التي شُيدت هناك، ولو تم استخدامها لكانت مانعاً رهيباً للدفاع عن الممر الضيق<sup>(٤٧)</sup>، وكان من الممكن أن تُغير هذه الطوابي مجرى المعركة الأخيرة لولا قرار الخليفة، وعندما وصل الجيش الإنجليزي المصري إلى السبلوقة كان الموقع خالياً، فاخترق الموضع بكل سهولة ويسر، وهو ما أكده عصمت زلفو بقوله: " كان الأسطول وحيداً ولم يبعث معه السردار أياً من قواته الأرضية لحمايته"<sup>(٤٨)</sup>.

## ٢ - طوابي الخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان:

شُيدت الطوابي على ضفتي نهر النيل في الخرطوم وجزيرة توتي وأم درمان والخرطوم بحري فقد بلغ عددها سبعة عشرة طابية، وكان الهدف من ذلك تشييد حصون للمدفعية على مقربة من شاطئ النهر لتوجيه نيرانها للسفن الغازية<sup>(٤٩)</sup>، ولمقاومتها لأن وابوراتها كانت لا تصلح للهجوم أو الدفاع، فبعضها كان إما غارقاً في قاع النهر، أو ليس لديه قدرة على المواجهة أو معطلاً<sup>(٥٠)</sup>.

(٤٥) شقير، نعم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦.

(٤٦) وينجت، الكولونيل مدير المخابرات الحربية، تمكن من تهريب العديد من الأسرى الأجانب من السودان، كان منهم الأب أوروهالدر وسلاطين باشا، استطاع بحنكته السياسية إقناع الرأي العام في بريطانيا بضرورة فتح السودان، هو قائد معركة أم ديبكرات، وكان انتصاره على الخليفة سبباً في ذبوع صيته في أرجاء الإمبراطورية وكان اليد اليمنى للسردار كنتشنر في حملته على السودان، وكان لعظيم دوره في هذه الحملة، أن رفقه حكومته، ومنحته نيشان القديسين جورج وميخائيل، كما منح لقب سر، كما ترقى في الجيش المصري إلى رتبة لواء، ومنح لقب باشا، شقير، نعم. "تاريخ السودان"، ص ٩٤٤؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٢٧٩-٢٨٢.

(٤٧) تشرشل، ونستون. "تاريخ الثورة المهدية"، ص ٢٣٧.

(٤٨) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٧٠، مع ذلك فقد ذكر صلاح عمر الصادق أن هاتان الطابيتان قد قامتا بدور بطولي في معركة أم درمان رغم قلة تسليحها بالنسبة للأسلحة الإنجليزية. الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهدية"، ص ٢٤٤.

(٤٩) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٤٧-٥٠١؛ الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهدية" ص ٢٤٤.

(٥٠) شقير، نعم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦-٩٢٧.

وكان الخليفة ينوي تشييد الطوابي في الضفة الغربية فقط، حتى يسهل على الجيش حمايتها، وخوفا على ضياع وفقدان الأسلحة لانعزالها عن القوة الأساسية للجيش إذا ما شُيدت في الضفة الشرقية، ولكنه أخذ برأي المدفعية المصريين - أسرتهم جيوش المهديّة في حروبها ضد الأتراك - الذين أكدوا أن ٧٠٠ ياردة هي المدى الذي تصله مدافع العدو، ويجب تشييد الطوابي على الضفة الشرقية أيضا، حتى لا تتحاز وابورات وسفن العدو إليها إذا ما قُصفت من المدفعية من الضفة الغربية، فشيدت الطوابي في الضفتين بعد تقادي هذا المدى، ووزعت المدفعية عليها<sup>(٥١)</sup>، وجعل مرمى الطوابي تجاه النيل، وعين الأمير سيد جمعة القائد العام للضفة الغربية، والأمير عيسى زكريا هو القائد العام للضفة الشرقية، ووضعت الألغام في النيل لتدمر سفن العدو إذا لمستها، ولكن كان لقلة الخبرة ونقص المواد اللازمة لصناعتها سبباً في عدم فاعلية هذه الطريقة الهجومية<sup>(٥٢)</sup>. وهذه الطوابي موزعة كالاتي:

#### أ- طابيتا الخرطوم :

شُيدت طابيتان في الخرطوم: إحداها عند المقرن، والأخرى بالقرب من السراي، وكانتا تحت قيادة الرشيد كرومة (هباني)<sup>(٥٣)</sup>، وقائد المدفعية إبراهيم التحشوانجي، وكان بكل طابية منهما اثنان من المدفعية، وزودت كل طابية بمدفع واحد، كان بطابية السراي مدفع جبلي، وبطابية المقرن مدفع شركيبا<sup>(٥٤)</sup>.

#### ب - طابيتا جزيرة توتي:

شُيدت طابيتان في جزيرة توتي إحداها في شمال الجزيرة، والأخرى في جنوبها<sup>(٥٥)</sup>، وكانت تحت قيادة عبد الجبار برتي<sup>(٥٦)</sup> وقائد المدفعية فيهما جمعة علي العمراني، وكان في توتي الشمالية اثنان من المدفعية، وفي كل من الطابيتين مدفع واحد جبلي.

#### - طابية جزيرة توتي الشمالية:

- **الموقع:** تقع الطابية في الرأس الشمالي لجزيرة توتي في وسط أرض زراعية، في مواجهة طوابي أم درمان على الضفة الغربية.

- **تاريخ الإنشاء:** يرجع تاريخ إنشاء الطابية لعام ١٨٩٨م

- **المنشئ:** أنشئت الطابية في زمن الخليفة عبدا لله

- **التخطيط العام:** مستديرة

<sup>(٥١)</sup> زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٥٠-٣٥١.

<sup>(٥٢)</sup> شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦؛ أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان (٥)"، ص ٦.

<sup>(٥٣)</sup> أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان (٤)"، ص ١١.

<sup>(٥٤)</sup> زلفو، عصمت حسن. "كرري" ص ٣٥٢.

<sup>(٥٥)</sup> الصادق، صلاح عمر. "تقرير عن طابية توتي"، ص ٩٢.

<sup>(٥٦)</sup> أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان (٤)"، ص ١١، في حين ذكرا عصمت زلفو، صلاح عمر الصادق أن اسمه على عبد الجابر، زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٥٢، الصادق، صلاح عمر. "تقرير عن طابية توتي"، ص ٩٢.

- الوصف الأثري الطابية : تعتبر طابية توتي الشمالية من أهم طوابي المهديّة من حيث موقعها الاستراتيجي، فهي تمثل رأس حربة في مقاومة السفن الحربية المعادية، مما يمكنها من إصابتها وإيقاف تقدمها، كما أنها مكتملة من الناحية الإنشائية<sup>(٥٧)</sup>، والطابية تأخذ في تخطيطها العام شكلاً مستديراً (شكل رقم ٢، ٣) وتحتوي على مدخل واحد رئيسي (لوحة رقم ٢) في الجانب الجنوبي منها، يطل على داخل الجزيرة، و٤ فتحات<sup>(٥٨)</sup> للمدافع<sup>(٥٩)</sup>، تفاوتت المسافة بينها، احتوت هذه المسافات على مزاغل فيما عدا المسافة بين المدخل الرئيسي والفتحة الجنوبية الغربية، اختلفت أعدادها من مسافة لأخرى، فتبقى في المسافة بين الفتحة الجنوبية الغربية والفتحة الغربية ٥ فتحات فقط، وكذلك تبقى ٥ فتحات بين الفتحة الشمالية والفتحة الشرقية، وتبقى ١٥ فتحة بين الباب الرئيسي وفتحة المراقبة الشرقية.

بإجراء قياسات للطابية تبين منها التالي: أن قطر الطابية من الداخل ٢٨م، واتساع فتحة الباب الرئيسي ٢٥،٢م، ويرتفع جداره الغربي ٩٠،١م، وجداره الشرقي ٢م، وأن المسافات بين فتحات المدافع متباينة، فالمسافة بين المدخل الرئيسي والفتحة الجنوبية الغربية ٨،٦٠م (لوحة رقم ٣)، والمسافة بين الفتحة الجنوبية الغربية وبين الفتحة الغربية ١٧،٢٠م (لوحة رقم ٤)، والمسافة بين الفتحة الغربية والفتحة الشمالية ١٠،٨٢م (لوحة رقم ٥)، والفتحة الشمالية والفتحة الشرقية ١٧،٧٠م (لوحة رقم ٦)، والمسافة بين الفتحة الشرقية والمدخل الرئيسي في الجانب الجنوبي ٢٦،٥٠م (لوحة رقم ٧).

وتبين أن ارتفاع وعرض فتحات المدافع كالتالي: ترتفع الفتحة الجنوبية الغربية بمقدار ٧٩سم وعرضها ٦٥سم، وسمك جانبها الغربي ٢٠،٤م، وسمك جدارها الجنوبي ١،٩٤م، وترتفع الفتحة الغربية بمقدار ٧٧سم، وعرضها ٧٠سم، وسمك جدارها الشمالي ٢،٢٠م، وسمك جدارها الجنوبي ٢،١٠م، أما الفتحة الشمالية فارتفاعها ٩٠سم، وعرضها ٩٠سم، وسمك جدارها الغربي ٢،١٠م، وسمك جدارها الشرقي ٢،٢٥م، والفتحة الشرقية ارتفاعها ٧٠سم وعرضها ٧٣سم، وسمك جدارها الجنوبي ٢،٤٥م، وسمك جدارها الشمالي ٢،١٥م، ويظهر هنا تباين واضح في سمك جدران الطابية.

وقد اختلفت المسافات بين الفتحات، ومن ذلك: مسافة طولها ٣٧سم، وثانية ٣٨سم، وثالثة ٤٤سم، ورابعة ٩٣سم، وخامسة ٨٠سم، وسادسة ١١٠سم، وسابعة ١١٥سم، وثامنة ١٢٥سم، وأن المسافة بين فتحات المراقبة وفتحات المزاغل أكبر من

(٥٧) الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة" ص ٢٤٦.

(٥٨) ذكر صلاح عمر الصادق أن بالطابية ثلاث فتحات مراقبة. الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة" ص ٢٤٥؛ "تقرير عن طابية توتي"، ص ص ٩٠-٩١-٩٢.

(٥٩) ذكر لي السيد /مهدي السيد أحمد حفيد الخليفة عبدالله أن هذه الفتحات كانت تستخدم أيضا للمراقبة، ولإستراحة الأنصار وتخزين السلاح، وهو ما أكده لي بروفييسور فيصل محمد موسى أستاذ التاريخ كلية الآداب جامعة النيلين.

المسافة بين فتحات المزاعل بعضها البعض، فمنها مسافة تُقدر بـ ٢،٩٠م، وثانية ٣،٦٥م، وثالثة ٤،٤٠م، ورابعة ٤،٣٠م، وخامسة ٢،٠٢م.

ويلاحظ تأثر العديد من فتحات المزاعل بسقوط الأمطار عليها مما أدى إلى هدم بعض منها، واختلفت أشكال المتبقي منها فبعضها يأخذ الشكل المستطيل، وبعض منها يأخذ شكلا أقرب للمربع، ومنها ببيضاوي الشكل، وهو ما يتعارض مع ما ذكره الباحث صلاح الصادق في تقريره عن الطابية، حيث ذكر أن مقاسات الفتحات ١٠سم × ١٠سم<sup>(١٠)</sup>.

لكن بما أجرئته من قياسات أتضح لي اختلافات في قياسات ارتفاع وعرض بعضها حيث تبين وجود فتحة ارتفاعها ١٢سم وعرضها ١٣سم، وثانية ارتفاعها ١٨سم وعرضها ٢٢سم، وثالثة ارتفاعها ٣٥سم وعرضها ٢٠سم، ورابعة ارتفاعها ٢٥سم وعرضها ١٦م، وخامسة ارتفاعها ٣٢سم تقريبا، وعرضها ٣١سم، مع اختلاف عمق الفتحات فنجد منها فتحة عمقها ٣٠م، وثانية عمقها ١٠م، وثالثة عمقها ١٠٣م.

وعن مادة البناء فقد شيدت الطابية من التراب والجالوص (لوحة رقم ٨) والحصى وقطع الأحجار الصغيرة كما في عضادتي فتحات المدافع (لوحة رقم ٩) وهي مواد بناء متوفرة في تربة الجزيرة، بالإضافة إلى استخدام تراب الرقطة<sup>(١١)</sup> المستجلب من أم درمان، وطلبت بالطين المخلوط بروث الحيوانات والقش، وجدرانها سميكة من أسفل، مع تفاوت السمك من منطقة لأخرى، وأستخدم الحجر في تشييد أساسات سطحية حيث ظهر جليا في المناطق التي سقط الملاط عنها في جدران الطابية الجنوبية والغربية من الخارج (لوحة رقم ١٠)، كما أستخدمت الأحجار كأعتاب لفتحات المزاعل (لوحة رقم ١).

يحيط بالطابية أشجار كثيفة، ونباتات شوكية وأخرى متسلقة، وهي قريبة جدا لجدران الطابية مما يسبب خطرا شديدا على الأساسات بسبب تمدد جذورها، وعلى جدرانها الطينية، مما يسبب على المدى البعيد إحداث إضعاف تماسك التربة وخلخلتها أسفل الجدران، كما أن جذور الأشجار تقوم بضغط شديد على الأساسات بسبب مقاومتها لتيارات الرياح التي تعصف بها فوق التربة، ويكون لها صدى على الجذور، ومن الممكن أن يؤدي ري هذه الأشجار إلى زيادة الرطوبة مما تؤثر على الجدران وخاصة الأساسات، كما تعمل بعض أنواع الأشجار على خفض مستوى الرطوبة في التربة مما يؤثر في انكماشها وخاصة في التربة الطينية وهي المشيد عليها الطابية، وربما تسقط إحدى هذه الأشجار على الطابية فتهدم أجزاء منها، وللنباتات البرية خطورتها على الملاط في حالة نموها بداخله، مما يعرضها للتشقق والسقوط.

(١٠) الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهديّة"، ص ٢٤٥؛ "تقرير عن طابية توتي"، ص ٩٠-٩١.

(١١) الرقطة، هي نوع من التربة انتشرت في السودان، وتعد أم درمان من المدن التي توافرت فيها، وهي عبارة عن تراب متراكم بفعل الرياح، وهو ذو لون بني ( يطلق عليه محليا أحمر) به حبيبات دقيقة من الحصى، وهي مادة إذا أضيف لها الماء تكون شديدة الصلابة لذلك تستخدم الرقطة في الطلاء الخارجي للمنشآت، أو في التسقيف.

### ٣ - طوابي أم درمان:

طوابي مدينة أم درمان يبلغ عددها إحدى عشرة طابية<sup>(٦٢)</sup>، شُيدت على الضفة الغربية للنيل، وكانت مسمياتها في وقتها كالاتي: طابية بوابة عبد القيوم(الملازمين الجنوبية)، وقائدها عبد القيوم، وقائد المدفعية عبدالجواد(مصري الجنسية)، وبها خمسة مدفعية، وسُلحت بمدفع واحد جبلي، ومدفع واحد كروب، وطابية السجن(الملازمين الشمالية)، وقائدها إدريس السائير، وقائد المدفعية محمد عبدالملك (مصري الجنسية)، وبها خمسة مدفعية، وزودت بثلاثة مدافع : مدفع واحد أوردي، و مدفع واحد متراليوز، ومدفع واحد كروب، وطابية بيت الأمانة<sup>(٦٣)</sup>، وكان قائدها محمد عبدالله التعايشي، وقائد المدفعية علي سالم (مصري الجنسية)، وبها خمسة مدفعية، وثمانون من المشاة بالبنادق، وزودت بمدفعي جبل، وطابية الباب الكبير، وطابية سوق الصمغ (الدباغة) وقائدهما الطريفي ربيع التعايشي، وقائد المدفعية فيهما سيد أحمد درويش(مصري الجنسية).

وكان بطابية الباب الكبير خمسة مدفعية، وبطابية سوق الصمغ(الدباغة) ستة مدفعية، وزودت طابية الباب الكبير بمدفعين جبليين، بينما زودت طابية سوق الصمغ بمدفع واحد حبشي وآخر كروب، وطابية الشقير<sup>(٦٤)</sup> يقودها حاج علي الدغيمي، وقائد المدفعية بها إبراهيم الفخراوي(مصري الجنسية)، وبها خمسة مدفعية، وطابية خورشمبات قائدها البدر رجب الدغيمي<sup>(٦٥)</sup>، وقائد مدفعتها السيد سلامة (مصري الجنسية) وبها خمسة مدفعية، وطابية المواليد(الحتانة) ويقودها الشريف حميدان(تعايشي)، وقائد مدفعتها أبو سعيد جابر(مصري الجنسية)، وبها خمسة مدفعية، وزودت بمدفعين جبليين<sup>(٦٦)</sup>، وطابية ثانية يقودها الشريف حميدان،

(٦٢) شقير، نعوم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦.

(٦٣) ذكر بروفيسور أبوسليم أن اسمها طابية بيت المال. أبوسليم، محمد إبراهيم. "أم درمان(٤)"، ص ١١.

(٦٤) ذكر لي الحاج حسن عمر أحد شيوخ سكان أم درمان أنه أطلق على هذه الطابية طابية الشقير نسبة إلى نعوم شقير الذي سكن في المنطقة التي بها الطابية فأخذت اسمه. ونعوم شقير صاحب كتاب ومصدر لتاريخ وجغرافية السودان لبناني الجنسية انتقل لمصر في العشرينات من عمره، التحق بالمخابرات الحربية وترقى حتى أصبح رئيس قسم التاريخ فيها ، وظل يعمل في المخابرات حتى توفي بالقاهرة عام ١٩٢٢م، وكان ممن شاركوا في حملة إنقاذ غوردون، وصاحب حملة الفتح مع السردار كنتشر ووصف في مؤلفه المعارك التي دارت بين جيوش الخليفة وبين جيش السردار منذ عام ١٨٩٦م وحتى مقتل الخليفة عام ١٨٩٩م، وأشاد بقوة تحصينات المهديّة، واستفاد كثيرا من عمله في المخابرات لمعرفة أخبار السودان. للمزيد راجع: محمد إبراهيم، مقدمة كتاب تاريخ السودان لنعوم شقير، دار الجبل، بيروت ١٩٨١م.

(٦٥) ذكر بروفيسور أبوسليم أن قائدها شخص يدعى عبدالرازق. أبوسليم، محمد إبراهيم. "أم درمان(٤)"، ص ١١.

(٦٦) زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٥٢.

والطابية العلوية، وطابية حاجب عثمان<sup>(٦٧)</sup>، تعرضت هذه الطوابي للقصف من قبل مدافع الجيش الإنجليزي فكان دورها في المعارك ذا تأثير قليل على العدو بسبب تفوق سلاحه<sup>(٦٨)</sup>.

تبقى من طوابي الجانب الغربي طابية عبد القيوم، وطابية السجن وطابية الدباغة، وبقايا طابيتي السرحة الشمالية والجنوبية، وطابية الحتانة.

#### أ - طابية عبد القيوم:

- **الموقع:** تقع على الضفة الغربية للنيل بحي الملازمين، ويفصلها شارع الإذاعة عن مباني جامعة القرآن الكريم التي تقع غرب الطابية.

- **تاريخ الإنشاء:** ١٨٩٨م

- **المنشئ:** الخليفة عبد الله

- **التخطيط العام:** جدار طولي، تتكون فيه من جزء أوسط نصف مستدير يتعامد عليه جناحان.

- **وصف الطابية:** تعد طابية عبد القيوم من أكبر الطوابي الباقية في مدينة أم درمان (لوحة رقم ١٢) (شكل رقم ٤، ٥)، وهي تعرف بطابية الإذاعة أو طابية أم درمان الجنوبية لأنها تقع جنوب طابية السجن التي يطلق عليها طابية الملازمين الشمالية، وتتكون من جزء أوسط يأخذ شكل نصف دائري يتوسطه مدخل، ويمتد على جانبيه جناحان، وتحتوي الطابية على ٣ فتحات للمدافع، وفتحات للمزاغل، ومدخل واحد رئيسي يتوسط الجزء المستدير، وهذا المدخل حديث تم فتحه مع تطوير الموقع، ووضع الباخرة (بوردين)، وكان يتقدم فتحات المدافع من الخارج جداران على جانبيها وترتفع بارتفاع الفتحات، تستخدم كسواتر (لوحة رقم ١٤، ١٣) شيدت الطابية من التراب والطين على أساسات سطحية من الحجر، وتم تلييس الجدران (الترميم والصيانة بروث الحيوانات)<sup>(٦٩)</sup>، وشيدت بجدران سميكة، فبلغ سمكها في منتصف القسم الأوسط ٢،٩٠م، وبلغ في الجدار الغربي للجزء المتعامد على الجناح الجنوبي للطابية ٢،٤٤م، كما أن الجدران يقل سمكها كلما ارتفعت لأعلى.

- **القسم الأوسط:** بإجراء مقاسات للقسم الأوسط من الداخل تبين أن سمك الجدار الشمالي والجنوبي للباب ٢،٩٠م، وطول المسافة من وسط الباب حتى الواجهة ٢١،٢٢م، وطول واجهته ١٨،٦٩م، والجانب الجنوبي منه (لوحة رقم ١٥) ١١،٦٠م، والجانب الشمالي (لوحة رقم ١٦) ١٤،١٦م، واحتوى هذا القسم على ١٣ فتحة مزغل في الجانب الجنوبي، وعلى فتحة مدفع واحدة، و٤ فتحة مزغل في الجانب الشمالي، وفتحة مدفع واحدة.

(٦٧) أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان العاصمة (٤)"، ص ١١.

(٦٨) أبو سليم، محمد إبراهيم. "تاريخ الخرطوم"، ص ١١٥.

(٦٩) يعرف محليا باسم التزبيل.



- **الجناحان:** بإجراء قياسات للجناح الجنوبي من الداخل (لوحة رقم ١٧) تبين أن طوله ١٥م، وطول الجزء العمودي عليه ١٢م، ويمتد الجناح الشمالي من الداخل ٢٢،١٩م، (لوحة رقم ١٨)، احتوى الجناح الجنوبي على ١٢ فتحة مزغل، ويحتوي الجزء العمودي عليه على ٩ فتحات. والجناح الشمالي على ١٧ فتحة، ويظهر به سد إحدى الفتحات في الصيانة. وتوجد فتحة مدفع توجد في نهاية الجناح الجنوبي عند التقائه بالجدار العمودي عليه.

فُتح الباب الموجود حديثاً، وليس من عصر الإنشاء، لأنه من الناحية الإستراتيجية يكون من الخطأ إحداث باب مواجهة للنهر، مما يجعل داخل الطابية مكشوف. أثرت عمليات اللياسة المتعاقبة على مقاسات فتحات المدافع، فهي غير متشابهة، وبالقياس تبين أن ارتفاع فتحة المدفع في الجزء الجنوبي للقسم الأوسط ٦٦سم، وعرضها ١٠،١م، وارتفاع فتحة المدفع في الجزء الشمالي للقسم الأوسط ٨١سم، وعرضها ٤٦سم، وارتفاع فتحة المدفع الموجودة عند التقاء الجناح الجنوبي مع الجدار العمودي عليه ٧٧سم، وعرضها ٦١سم.

أخذت فتحات المزغل في الطابية أشكالاً: إما مستطيلاً، أو شبه مربع، أو بضاوياً، لذلك فمقاساتها غير متساوية، فبعد إجراء مقاسات لارتفاع الفتحات وعرضها تبين أن هناك فتحة ارتفاعها ٥٦سم، وعرضها ٣٩سم، وفتحة ثانية ارتفاعها ٥٨سم، وعرضها ٣٢سم، وفتحة ثالثة ارتفاعها ٤٢سم، وعرضها ٣١سم، وفتحة رابعة ارتفاعها ٤٠سم، وفتحة خامسة ارتفاعها ٥٢سم.

وهذه القياسات ليست الأصلية (وقت الإنشاء) فربما كان للصيانة وعمليات اللياسة (الترميم بروث الحيوانات)، سبباً في اختلاف مقاييس الفتحات عن مقاييسها الأصلية، استخدمت الأحجار كعتب لها، وهناك فتحات قد سدت مع الترميم، والفتحات مرتفعة عن سطح الأرض.

كما تبين اختلاف طول المسافات بين الفتحات، فهناك مسافات امتدادها ٦٠سم، ٧٠سم، ٨٦سم، ٨٧سم، ٩١سم، وهكذا.

لما كانت الطابية مشيدة في موضع منخفض نسبياً مما يجعلها معرضة لخطر الفيضان أو تسرب المياه في التربة بسبب الفيضان أو السيول والأمطار الغزيرة التي تكون برك مياه متناثرة في الأماكن المنخفضة، وتستمر هذه البرك في بعض الأحيان عدة أيام حتى تجف، وهي حالياً في حالة جيدة من الحفظ.

### ب - طابية السجن:

- **الموقع:** تقع هذه الطابية على الضفة الغربية للنيل شمال طابية عبد القيوم

- **تاريخ الإنشاء:** ١٨٩٨م

- **المنشئ:** الخليفة عبد الله

- **التخطيط العام:** جدار طولي تتكون فيه من جزء أوسط نصف مستدير يتعامد عليه جناحان.

**- وصف الطابية:** كانت طابية السجن تعرف بطابية الملازمين الشمالية (لوحة رقم ١٩) (شكل رقم ٦، ٧)، وهي مشيدة على الجانب الغربي للنيل، ومقابلة لجزيرة توتي، وتتكون من قسم أوسط على شكل نصف دائري، يمتد على جانبيه جناحان يتعامد على كل جناح جدار صغير يمتد جهة الغرب، وشيدت الطابية من التراب والطين على أساسات سطحية من الحجر، وتم تليس الجدران، شيدت جدران الطابية سميكة من أسفل حيث تبين بعد إجراء القياسات أن سمكها في موضع ١،٢٠م، وفي موضع آخر ١،٣٥م، ويقل سمك الجدران كلما ارتفعت لأعلى.

القسم الأوسط: بإجراء للطابية تبين أن مقاسات القسم الأوسط (لوحة رقم ٢٠) من الداخل تبين أن عرض واجهته ١٩،٩٠م، وعمقه ٢١،٤٠م، احتوى هذا القسم على ٢١ فتحة مزغل.

الجناحان: كما تبين أن طول الجناح الشمالي من الداخل ٢١،٦٠م، (لوحة رقم ٢١) وطول الجدار العمودي عليه ٣،٠٤م، وطوله من الخارج ٥،٧٤م، وأن طول الجناح الجنوبي ٢٠م (لوحة رقم ٢٢) وطول الجدار العمودي عليه من الداخل ٣،٢٣م، وطوله من الخارج ٥،٦٠م، وعرض هذا الجدار العمودي من الجهة الغربية ١،٣٥م، واحتوى الجناح الشمالي على ١٦ فتحة مزغل، واحتوى الجنوبي على ٩ فتحات .

وتحتوي الطابية على فتحات مزغل منخفضة عن باقي فتحات مزغل الطوابي، وهي قريبة جدا من الأرض، وربما كان لعوامل التعرية دور في ارتفاع منسوب التربة داخل الطابية مما جعل الفتحات قريبة من الأرض، أو ربما قصد المعمار فتحها منخفضة ليستخدمها حاملوا البنادق وهم منبطحون على الأرض، كما سُد بعضها في الصيانة، وهذه الفتحات تأخذ شكلا : إما مستطيلا، أو شبه مربع، أو بيضاويا، وتبين أن مقاسات الفتحات كالآتي : فتحة ارتفاعها ٢٦سم وعرضها ٢٥سم، وثانية ارتفاعها ١٨سم، وعرضها ١٧سم، وثالثة ارتفاعها ٢٠سم، وعرضها ١٤سم، ورابعة ارتفاعها ٣٣سم، وعرضها ٣٧سم، وخامسة ارتفاعها ٢٨سم وعرضها ٤١سم، وسادسة ارتفاعها ٣٠سم، وعرضها ٦٨سم.

**وفي المجلد:** فإن اتساع هذه الفتحات تعد أصغر فتحات المزغل بين الطوابي، ولا تحتوي الطابية حاليا على فتحات للمدافع كما هو الحال في جميع الطوابي، علما بأن الطابية كانت مزودة بثلاثة مدافع، مما يعطي احتمالا أن هذه الفتحات قد سدت أثناء عمليات الصيانة.

كما تباينت أطوال المسافات بين الفتحات، فمثلا المسافة الأولى طولها ب ١،٥٦م، والثانية ٩٩ سم، وثالثة ٢،٧٠م، ورابعة ٢١سم، وخامسة ١،١٤م، وربما كان غلق فتحات في الصيانة أحد أسباب اتساع المسافات بين الفتحات.

والطابية مشيدة على أرض مرتفعة مما يجعلها في مأمن من التعرض لخطر الفيضان أو تسرب المياه في التربة بسبب الفيضان أو السيول والأمطار الغزيرة التي تكون برك مياه متناثرة في الأماكن المنخفضة، ولكنها تتعرض لخطر آخر وهو نمو النباتات البرية في داخلها، ويمكن أن تمتد جذوره بسهولة إلى داخل الجدران، لأنها

مشيدة أساسا من الطين، كما أن نمو هذه النباتات داخل الطلاء قد يسبب في تساقطه<sup>(٧٠)</sup>، ورغم ذلك فالطابية بحالة جيدة من الحفظ.

### ج: طابية الدباغة:

- **الموقع:** تقع هذه الطابية على الضفة الغربية للنيل، ويفصلها عنه شارع نهر النيل بأم درمان، وأخذت هذه الطابية اسمها من موقعها في حي الدباغة.

- **تاريخ الإنشاء:** ١٨٩٨ م

- **المنشئ:** الخليفة عبد الله

- **التخطيط العام:** عبارة عن جدار طولي مقسم لجزء أوسط يأخذ شكل نصف مستدير يتعامد عليه جناحان، (لوحة رقم ٢٣) (شكل رقم ٨، ٩).

- **وصف الطابية:** من قسم أوسط نصف دائري (لوحة رقم ٢٤)، يتعامد عليه جناحان، وشيدت الطابية من التراب والطين على أساسات من الحجر، وتم تلييس الجدران، والجدران سميقة من أسفلها حيث يقدر سمكها بـ ٢،٥٤م، ويقل السمك كلما ارتفعنا لأعلى.

- **القسم الأوسط:** شيد القسم الأوسط نصف دائري، تبين بإجراء مقاسات أن طول واجهته ١٩،٩٠م وعمقه ١٢،٤٠م، احتوى على ٢٦ فتحة مزغل، كان هذا في الزيارة التي قمت بها في شهر ديسمبر ٢٠١٧م (لوحة رقم ٢٥)، ولكن عندما زرت الطابية في شهر نوفمبر ٢٠١٨م وجدت أن الصيانة قد سدت فتحتين للمزاغل في الجزء الأوسط، ومازال مكانهما واضحا (لوحة رقم ٢٦)، وكانا في حالة جيدة قبل الصيانة، كما أعيد فتح فتحة ثالثة كانت مغلقة، ومعالمها كانت واضحة.

- **الجناحان:** يمتد الجناح الجنوبي مسافة ٢٦،١٠م (لوحة رقم ٢٧)، والجناح الشمالي يمتد مسافة ٢٧،٥ م (لوحة رقم ٢٨)، ويحتوي الجناح الأيمن على ٢١ فتحة مزغل، والأيسر على ٢٢ فتحة مزغل.

وتحتوي الطابية على فتحات للمزاغل، بعضها مستطيل وبعضها شبه مربع وبعضها بيضاوي، تم إجراء قياسات لارتفاع وعرض بعض منها تبين التالي: فتحة ارتفاعها ٣٣سم، وعرضها ٣١سم، وثانية ارتفاعها ٤٧سم، وعرضها ٢٨سم، وثالثة ارتفاعها ٥٩سم، وعرضها ٣٥سم، ورابعة ارتفاعها ٥٨سم، وعرضها ٣٦سم، وخامسة ارتفاعها ٦٠سم، وعرضها ٣٤سم.

وتسببت عملية اللياسة الحديثة للطابية في غلق مزغلين في القسم الأوسط، رغم أن حالتها كانت جيدة الحفظ.

تبين أن المسافة بين الفتحات مختلفة، فمنها مسافة تقدر بـ ٧٨سم، وثانية بـ ١٩،١٩م، وثالثة بـ ٨٧سم، ورابعة بـ ١،٢٢م، وخامسة بـ ١،٨٤م، وسادسة بـ ٨٣سم، وأن عمليات الصيانة (اللياسة) للطابية تزيد من المسافات بين الفتحات بسبب غلق بعض فتحات المزغل.

(٧٠) المحاري، سلمان أحمد. "حفظ المباني التاريخية"، ص ١٣٣-١٣٤.

وشيدت الطابية من الجالوص والتراب الخالي من الحصى والجير وقطع الأحجار، مع اللياسة المكونة من التراب، والرقيطة والقش، وروث الحيوانات. لا تحتوي الطابية على فتحات المدافع حالياً، وربما أغلقت لأن الطابية كانت مزودة بمدفعي جبل. الطابية حالياً معرضة للخطر نتيجة لوقوعها في أرض منخفضة جداً عن شارع نهر النيل وليست على مرتفع، وبالقرب من أراضي زراعية، مما يجعلها معرضة لخطر الفيضان أو لخطر تسريب المياه الذي ينتج عن زيادة منسوب المياه في التربة بسبب الفيضان أو الري أو تجمع مياه السيول والأمطار الغزيرة (لوحة رقم ٢٩)، كما أن جدرانها الطينية مهددة بالحفر بسبب الكلاب. تم صيانة (لياسة) الطابية في نوفمبر ٢٠١٨م وإحاطتها بسياج معدني جديد ومرتفع مع إضافة أعمدة إنارة، ووضع مقاعد في الطابية، وسوف يتحول الموقع لمزار سياحي.

#### د - طابيتا السرحة:

تقع في الضفة الغربية لنهر النيل، يفصله عنهما شارع نهر النيل أم درمان، احتوت هذه المنطقة على طابيتين قد تهدمتا بشكل كبير جداً، ولم يتبق منهما إلا أمتار قليلة.

#### - طابية السرحة الشمالية:

- الموقع: القماير

- تاريخ الإنشاء: ١٨٩٨م

- المنشئ: الخليفة عبد الله

- التخطيط العام: الطابية متهدمة<sup>(٧١)</sup>

- وصف الجزء المتبقي: تبقى منها جزء صغير من الجدارين الشرقي والشمالي (شكل رقم ١٠) وبإجراء قياس تبين أن طول الجزء المتبقي من الجدار الشرقي المطل على النيل مسافة ٦،٢٥م، وارتفاعه حوالي ٢،١٠م (لوحة رقم ٣٠)، وتبقى من الضلع الشمالي ٤،١٨م، وارتفاعه حوالي ١،٣٧م (لوحة رقم ٣١)، وتبقى من الجدار الشمالي مسافة تقدر بـ ٧٩ سم، وتبقى من الجدار الجنوبي مسافة تزيد على المتر، ويحتوي الجدار الشرقي على ٣ فتحات للمزاغل، ويحتوي الجزء الشمالي على فتحتين.

تعرضت الطابية للهدم مما أثر على فتحات المزاغل أيضاً، فتهدم الجزء العلوي لبعض منها، مما جعل قياسات ارتفاعها وعرضها ليست الأصلية، فالفتحة الأولى من الجهة الجنوبية عرضها ٣٠سم، ولكن سقط العتب الحجري للمزاغل، فطمس معه ارتفاع الفتحة، وارتفاع الفتحة الثانية ٥سم وعرضها ٣٠سم، وارتفاع الفتحة الثالثة ١٠سم، وعرضها ٢٥سم.

<sup>(٧١)</sup> ذكر لي السيد/ مهدي السيد أحمد حفيد الخليفة عبدالله أن الطابية كانت طولية وليست مستديرة عندما سألته عن تخطيطها.

تبين أن المسافات بين الفتحات المتبقية متفاوتة فتبلغ المسافة التي تسبق فتحة المزغل الأولى ٩٢سم، والمسافة بين الفتحة الأولى والفتحة الثانية ٨١ سم، والمسافة بين الفتحة الثانية والفتحة الثالثة تقدر بـ ٧٩ سم، والمسافة بين الفتحة الثالثة وبداية الجدار الشمالي ٢،٣١م.

كان لحالة الطابية الراهنة سبب في ظهور الحجر المستخدم كعتب لفتحات المزاعل واستخدم أكثر من نوع منه (لوحة رقم ٣٢)، كما ظهرت مواد البناء بشكل واضح في بقايا الطابيتين، حيث استخدم تراب يغلب عليه الجير إلى جانب والحصى وقطع من الأحجار المختلفة.

### - طابية السرحة الجنوبية

- الموقع: القماير

- تاريخ الإنشاء: ١٨٩٨م

- المنشئ: الخليفة عبد الله

- التخطيط العام: الطابية متهمة

وصف الجزء المتبقي: تعرضت الطابية للهدم، وتبقى منها جدار صغير، تبين بعد إجراء قياس له أن طوله من الناحية الشمالية ٧،٢٨م، ويرتفع بمقدار ١،٦٧م (لوحة رقم ٣٣) (شكل رقم ١١)، بينما يمتد هذا الجدار من الجهة الجنوبية مسافة ٦،٦٧م، وبارتفاع ٢،٦٠م (لوحة رقم ٣٤)، وتبقى من الجهة الشرقية الملاصقة للجدار الحديث مسافة تقدر بـ ٣٩سم، أما الجدار الغربي فتبقى منه مسافة ١،٩٥م. ويحتوي هذا الجدار على ٤ فتحات للمزاعل.

اختلفت المسافات بين الفتحات الأربعة من الداخل (الجهة الجنوب)، فالمسافة التي تسبق فتحة المزغل من الجهة الشرقية قدرت بـ ٧٢سم، وثانية تقدر بـ ٧٦سم، وثالثة تقدر بـ ٧٦سم، ورابعة تقارب على المترين.

تعرضت فتحات المزاعل للهدم مما جعل مقاييسها الحالية غير المقاييس الأصلية، فمنها فتحة مربعة والفتحات الباقية مستطيلة فالأولى من الجهة الشرقية عرضها ٣٠سم، وارتفاعها ٣سم، والفتحة الثانية عرضها ٣١سم، وارتفاعها ٥سم، والفتحة الثالثة عرضها ٣٤سم، وارتفاعها ٧سم، والفتحة الرابعة عرضها ٣١سم وارتفاعها ٣١سم، واستخدم الحجر كعتب لهذه الفتحات.

ويتضح من هذه الأجزاء المتبقية أن مادة البناء فيها تشبه طابية السرحة الشمالية فاستخدمت مواد بناء التراب المحلي المكون من الجير والرمل والحصى وقطع مختلفة من الأحجار.

### هـ - طابية الحتانة:

- الموقع: تقع بمنطقة القماير على الضفة الغربية للنيل، ويفصلها عن النهر شارع النيل أم درمان الذي يحدها من الناحية الشرقية، ويحيط بها منشآت سكنية.

- تاريخ الإنشاء: ١٨٩٨م

- المنشى: الخليفة عبد الله

- التخطيط العام: مستديرة

وصف الطابية: تأخذ الشكل المستدير (شكل رقم ١٢، ١٣)، (لوحة رقم ٣٥) وفتح بها مدخل واحد، يقع في الجانب الجنوبي الغربي للطابية، (لوحة رقم ٣٦)، و٤ فتحات للمدافع فتحت على مسافات غير متساوية تطل تقريباً على الاتجاهات الرئيسية الأربعة، احتوت هذه المسافات على فتحات مزاغل غير متساوية في العدد فيوجد ١٧ فتحة مزغل في الجزء المحصور بين المدخل الرئيسي وبين الفتحة الجنوبية، و١٢ فتحة مزغل بين الفتحة الجنوبية والفتحة الشرقية، و١٠ فتحات بين الفتحة الشرقية والفتحة الشمالية، و٩ فتحات بين الفتحة الشمالية والفتحة الغربية، وبين باب الدخول، شيدت الطابية ذات جدران سميكة تجاوزت المتران من أسفل ويقل سمك الجدران كلما ارتفعت.

بإجراء قياسات للطابية تبين منها أن قطر الطابية من الداخل ٢٢،١٩م، وأن سمك الجدار الشرقي للمدخل الرئيسي ٢،٢٠م، وسمك جانبه الغربي ٢،٢٨م، والمسافات بين فتحات المدافع متباينة، فالمسافة بين الباب الرئيسي والفتحة الجنوبية ١٠،٧٧م (لوحة رقم ٣٧)، والمسافة بين الفتحة الجنوبية والفتحة الشرقية ١٠،٣٧م (لوحة رقم ٣٨)، والمسافة بين الفتحة الشرقية والفتحة الشمالية ١١،٨٣م (لوحة رقم ٣٩)، والمسافة بين الفتحة الشمالية والفتحة الغربية ١٢،٥٣م (لوحة رقم ٤٠)، والمسافة بين الفتحة الغربية وبين الباب الرئيسي ١٧،٥٢م (لوحة رقم ٤١).

تبين أن ارتفاع وعرض فتحات المراقبة غير متساوية، فارتفاع الفتحة الجنوبية ١،١٢م، وعرضها ١،١١م، وسمك جدارها الجنوبي ٢،٦٧م، وسمك جداره الشمالي ٢،٨٠م، أما الفتحة الشرقية فارتفاعها ١،٢٥م، وعرضها ٨٧سم، وسمك جداره الجنوبي ٢،٥٠م، وسمك جداره الشمالي ٢،٤٧م، والفتحة الشمالية ارتفاعها ١،٣٢م، وعرضها ٧٣سم، وسمك جدارها الشرقي ٢،٧٣م، وسمك جدارها الغربي ٢،٧٥م، والفتحة الغربية ارتفاعها ١،٢١م، وعرضها ٧٣سم، وسمك جدارها الشمالي ٢،٨٣م، وسمك جدارها الجنوبي ٢،٦٣م.

أخذت فتحات المزاغل شكل مستطيل أو شبه مربع، ومنها ما هو ببيضاوي اختلفت مقاييسها فمنها: فتحة عرضها ٣٢سم، وارتفاعها ١٤سم، وثانية عرضها ٣٣سم، وارتفاعها ١٣سم، وثالثة عرضها ٢٨سم، وارتفاعها ١٩سم، ورابعة عرضها ٢٤سم، وارتفاعها ٣٠سم وخامسة عرضها ٢٩سم، وارتفاعها ٣٣سم، وسادسة عرضها ٣٤سم، وارتفاعها ٤٨سم، وربما كان للياسة دور في اختلاف أشكال ومقاسات الفتحات، فهي غير الأصلية، واستخدم أنواع مختلفة من الحجر كعتب للفتحات (لوحة رقم ٤٢).

اختلفت المسافات بين فتحات المزاعل فمثلا توجد مسافة ٧٢سم، وثانية ٨٦سم، وثالثة ٨٧سم، ورابعة ٩٦سم، وخامسة ٩٣سم، وسادسة ٩٠سم، وسابعة ٥٧سم، وثامنة ٦٨سم.

شيدت الطابية على مرتفع من الأرض مما وفر لها حماية من الفيضان، أو برك المياه المتجمعة من الأمطار بعكس طابية الدباغة، والطابية بحالة جيدة من الحفظ فيما عدا سقوط طلاء الجزء الشرقي من الخارج المطل على شارع نهر النيل أم درمان، كما يوجد انهيار للقسم الأيسر من داخل الطابية في المسافة الممتدة بين فتحة المدافع الغربية وبين المدخل الرئيسي، نتج تهدم بعد فتحات المزاعل، بطمس بعض منها، وظهرت مواد البناء المستخدمة بوضوح من التراب المحلي المكون من قطع صغيرة من أحجار مختلفة الأنواع والحصى (لوحة رقم ٤٣)، وهي كلها مكونات التربة المحلية، والطلاء المستخدم فيه الطين الممزوج بالقش والرقيفة وروث المواشي، وتخمر هذه المواد لمدة يومين أو ثلاثة مثل باقي الطوابي، وأحيانا تستخدم الرقيفة في الطلاء بدون روث المواشي.

#### ٤- طوابي الخرطوم بحري:

شيد على الضفة الشرقية للنيل طابيتان: واحدة في شمبات والأخرى في الصبابي<sup>(٧٢)</sup>، وكانت تحت قيادة عيسى زكريا التعايشي، وقائد المدفعية محمد فرج (مصري الجنسية)، وكان بها اثنان من المدفعية، وعشرون رجلا من البقارة والتعايشية، ومدفع واحد جبلي، وقد قاومت هذه الطابية، ثم أخذت عنوة، وطابية في شمبات، كانت تحت قيادة محمد فايد (أو تنطق فايت) والطالي جودة، وقائد المدفعية محمد فرج (مصري الجنسية)، وبها ثلاثة مدفعية، وعشرون رجلا من الأنصار، ومدفع واحد جبلي، واستسلم قائدها بعد الهجوم على الطابية<sup>(٧٣)</sup>.

#### أ - طابية شمبات:

- الموقع: تقع هذه الطابية في الخرطوم بحري في حي الشمبات، في الضفة الشرقية لنيل أم درمان، وسط منطقة ذات أشجار كثيفة ومزارع (شكل رقم ١٤).

- تاريخ الإنشاء: ١٨٩٨م

- المنشئ: الخليفة عبد الله

- التخطيط العام: مستديرة

- وصف الطابية: شيدت الطابية بشكل مستدير، وتحتوي على باب واحد في الجهة الشرقية (لوحة رقم ٤٤)، و٣ فتحات مراقبة، فتحت مقابلة للاتجاهات الرئيسية الشمالية والجنوبية والغربية، ونلاحظ تباين في المسافات بين هذه الفتحات، واحتوت هذه المسافات على فتحات مزاعل اختلف عددها من مسافة لأخرى، فالمسافة الممتدة

(٧٢) شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦؛ وذكر لي بروفيسور فيصل محمد موسى أن أحد المواطنين هدمها قريبا للاستفادة من مواد بنائها.

(٧٣) شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٦-٩٢٧؛ زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٥٢.

بين الفتحة الشمالية والباب الشرقي تضم ١٨ فتحة مزغل، بينما تضم المسافة بين الباب الشرقي والفتحة الجنوبية ١٦ فتحة مزغل، وتحتوي المسافة بين الفتحة الجنوبية والغربية على ١٥ فتحة مزغل، وفتح بالمسافة الممتدة بين الفتحة الغربية والشمالية ١٥ فتحة مزغل.

تم إجراء قياسات للطابية تبين منها أن قطرها ٢٦،٤٤م، وعرض فتحة الباب الرئيسي ١،٧٠م، ويرتفع جداره الجنوبي ١،٧٥م، ويرتفع جداره الشمالي ١،٨٥م، وسمك جداره الشمالي ١،٩٩م، وسمك جداره الجنوبي ٢،٧٨م، والمسافات بين فتحات المدافع الأربع غير متساوية، فتمتد المسافة بين الفتحة الشمالية وبين الباب الشرقي مسافة ٢٢،٥٠م (لوحة رقم ٤٥)، وتمتد المسافة بين الباب الشرقي والفتحة الجنوبية مسافة ١٨،٤٠م (لوحة رقم ٤٦)، والمسافة بين الفتحة الجنوبية والغربية ١٦م (لوحة رقم ٤٧)، والمسافة بين الفتحة الغربية والشمالية ١٨،٤٥م (لوحة رقم ٤٨).

تبين أن مقاسات الفتحات الأربع فهي كالآتي: فترتفع الفتحة الشمالية من داخل الطابية ١،١٠م، وعرضها من وسط الفتحة ٩٧سم، وعرضها من أسفل الجدارن ١،٢٠م، وسمك الجدار الشرقي لهذه الفتحة ٢م، وسمك الجدار الغربي ٢،٠٩م تقريبا، أما الفتحة الجنوبية فيرتفع مدخلها من داخل الطابية مسافة ١،٣٦م تقريبا، وعرضها أو اتساعها من داخل الطابية ٨١سم تقريبا، ويقدر سمك جدارها الغربي بـ ١،٧٥م، وسمك جدارها الشرقي ١،٨٣م، أما الفتحة الغربية فترتفع من داخل الطابية ١،٢٢م، وعرضها من وسط الفتحة ٩٠سم، وسمك جدارها الشمالي ١،٩٢م، وسمك جدارها الجنوبي ١،٩٥م.

تطابقت بعض المسافات بين فتحات المزاول وتفاوت البعض الآخر فمثلا بلغت مسافة بين فتحتين ٨٥سم، وثانية ٩٠سم، وثالثة ٨١سم، ورابعة ١،٠٢م، وخامسة ١،١٥م، ومسافة سادسة بـ ٨٧سم، وسابعة ٩٩سم.

اختلفت أشكال فتحات المزاول، فمنها ما هو مستطيل أو شبه مربع ومنها ما هو بيضاوي، وقدرت مقاسات بعض الفتحات بما يلي: فتحة ارتفاعها ٣٦سم، وعرضها ٢٧سم، وثانية ارتفاعها ٣٤سم، وعرضها ٣٠سم، وثالثة ارتفاعها ٣٢سم، وعرضها ٣٠سم، ورابعة ارتفاعها ٢٤سم، وعرضها ٢٧سم، وخامسة ارتفاعها ٣٩سم، استخدم الحجر كأعتاب لفتحات المزاول مثل باقي الطوابي (لوحة رقم ٤٩)، ولكن المختلف هنا استخدام الأخشاب كأعتاب لفتحات المزاول وفتحات المراقبة وهذا بسبب توفر الخشب، فالطابية محاطة بأشجار كثيفة (لوحة رقم ٥٠).

شيدت الطابية من التراب والرقيطة والجالوص (لوحة رقم ٥١)، على أساسات من الأحجار، وتختلف مواد البناء في هذه الطابية عن طابية الحتانة وطابيتي السرحة، حيث اختلف الحصى وقطع الأحجار، وطلبت بالطين المخلوط بروت الحيوانات والقش، وجدرانها سميقة من أسفل، مع تفاوت السمك من منطقة لأخرى، في أجزاء كثيرة من الطابية.



تشديد الطابية داخل المزارع يعرضها لأخطار نمو النباتات والأشجار في جدرانها، وهو ما حدث بالفعل حيث نمت شجرة نخيل كبيرة في المسافة بين الفتحة الشمالية والغربية، وتتمو أشجار المانجو داخلها، وجميعها خطر على أساس الطابية وجدرانها الطينية، لأن جذور الأشجار تمتد مسافات طويلة في التربة، وربما تمتد تحت أساسات الطابية مما يسبب مع مرور الوقت ضعف وخلخلة التربة أسفل الجدران، كما أن جذور الأشجار تقوم بضغط شديد على الأساسات بسبب مقاومتها للرياح التي تتعرض لها فوق التربة، وربما يؤدي ري هذه الأشجار إلى زيادة الرطوبة مما تؤثر على الجدران والأساسات، وهناك بعض الأشجار على خفض مستوى الرطوبة في التربة مما يؤثر في انكماشها وخاصة في التربة الطينية المشيد عليها الطابية<sup>(٧٤)</sup>، كما تهدد هذه الأشجار العالية في حالة سقوطها إحدى هذه الأشجار على الطابية فتهدم أجزاء منها، بالإضافة إلى زراعة حارس الطابية للخضروات وريها يجعل الجدران معرضة لتسريب مياه الري.

والطابية بحالة جدا جيدة من الحفظ، فيما عدا تساقط الطلاء في بعض أجزاء منها، مع تهدم لبعض فتحات المزاعل.

#### ٥ - ضعف تأثير الطوابي في حسم المعركة:

تحرك جيش السردار في أواخر أغسطس ١٨٩٨م في اتجاه أم درمان برًا ونهرا، فكان أسطول الحملة الذي يتكون من عشر قطع من البواخر الحربية يتقدم هو الآخر تجاه المدينة<sup>(٧٥)</sup>، وسار أحد قواده في الجهة الشرقية للنيل مع المتطوعين، أما القوات المتحابة<sup>(٧٦)</sup> فتقدمت صوب بحري ودخلت في معارك مع الأنصار المتمركزين هناك، وسيطروا على طابتي شمبات والصبابي بمساعدة السفن<sup>(٧٧)</sup> التي قصف مدينة أم درمان بالقبائل، ثم توجهت ناحية طوابي الخرطوم وتوتى، ومما زاد الأمر سوءا أن نيران طوابي المهديّة لم تصب أهدافها، فأصبحت أسوار المدينة وطوابيها، حتى أن قتال الهويتزر أصابت قبة المهدي بشكل مباشر ففتحت في قمته ثغرات، مما أصاب الناس بالهلع، فالقبة رمز له قدسيته لديهم<sup>(٧٨)</sup>.

<sup>(٧٤)</sup> المحاري، سلمان أحمد. "حفظ المباني التاريخية"، ص ص ١٣٣-١٣٤.

<sup>(٧٥)</sup> الصادق، صلاح عمر. "آثار وصيانة الباخرة ملك"، ص ١٤٤.

<sup>(٧٦)</sup> العرب المتحابة، أو العرب الموالين هم من قبائل العباددة، والبطاحين والجعليين تمكن الكولونيل وينجت من استغلال كرههم للخليفة عبدالله، وكون منهم قوة تجاوزت أربعة آلاف مقاتل، وهم متطوعة، وهذا العمل يعد من أكبر انجازاته المخابراتية. زلفو، عصمت حسن. "كرري"، ص ٣٥٦.

<sup>(٧٧)</sup> كان من أشهر هذه البواخر: الباخرة ملك وسلطان وشيخ والمتمة. الصادق، صلاح عمر. "آثار وصيانة الباخرة ملك"، ص ١٤٤.

<sup>(٧٨)</sup> شقير، نعموم. "تاريخ السودان"، ص ٩٢٨؛ أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان (٤)"، ص ١١؛ أم درمان (٥)، ص ٦.

## - المبحث الثالث: الدراسة التحليلية:

### ١ - الوظيفة والتخطيط:

حتمت وظيفة الطوابي شكل هندسي بنائي ونُظم بناء معينة تتوافق مع وظيفتها الإنشائية، وهو ما نلاحظه من اختلاف التخطيط الهندسي والمعماري، ف جاء تخطيط الطوابي إما مستديرة كما في تخطيط طابية الحتانة وشمبات وتوتي، والتي حتمته طبيعة المهام الدفاعية الموكلة إليها، فطابية توتي تمثل رأس حربة في مقاومة السفن الحربية لوقوعها في شمال الجزيرة، وكذلك طابية الحتانة بحيث تصوب نيران مدفعيتها في عدة الاتجاهات، وصد هجمات العدو من جهة الصحراء إلى جانب بوارجه من جهة النهر، وقد يأخذ تخطيطها شكل جدار طولي، تتكون الطابية فيه من جزء أوسط نصف مستدير يتعامد عليه جناحين ممتدين، تختلف أطولهما من طابية لأخرى، وحتمت الوظيفة والمهام الدفاعية احتواء الطوابي على فتحات كبيرة للمدافع ومواقع للبنادق وللمراقبة، وكذلك فتحات صغيرة تعرف بالمزاغل أو المزاكل، وشيّدت جدرانها سميكة من أسفل، وبقل سمكها كلما ارتفعنا لأعلى. ويدل تشييد طابيتي السرحة على مسافة قريبة جدا من بعضهما البعض لزيادة الضغط على سفن العدو المهاجمة وعرقلتها نحو أم درمان.

### ٢ - الموقع والتوجيه المعماري:

التوجيه هو وضع المبنى بحيث تتخذ واجهاته وحوائطه اتجاهات جغرافية معينة، لتفي بالغرض الذي أنشئت من أجله، فقد يُراعى في توجيهها تجنب التعرض للإشعاع الشمسي لتحقيق الراحة للجنود، وفي تجربة هذه الطوابي فقد تم توجيه حوائطها وفتحات مزاغلها توجيهاً جغرافياً ترتبط بالموضع والموقع الجغرافي اتجاه صفحة مياه النيل، لتصيب الأهداف المراد الوصول إليها من تشييدها، وهو صد ومقاومة سفن العدو القادمة بنهر النيل.

كما نلاحظ بُعد النظر الإستراتيجية في اختيار الموقع واضحاً في تشييد طابيتي الملازمين الشمالية والجنوبية في مقابل طوابي جزيرة توتي على الضفة الشرقية لنهر النيل، واستهدف من ذلك حصر السفن التي تخترق النهر بنيران المدفعية من ضفتي النهر الشرقية والغربية، كذلك تعويض قصر مدى المدفعية المستخدمة من قبيل جنود المهديّة، وشيّدت طابية شمبات وسط أشجار مرتفعة وكثيفة حتى يصعب كشفها من قبل العدو.

### ٣ - مواد البناء:

استخدمت مواد بناء لها خواص تساعد على الحد من تأثير المقذوفات، وهو ما أوردته المصادر التاريخية أن الأمير محمود بن أحمد قائد معركة عطبرة قد أوصى الخليفة بتشبيد الطوابي من التراب لأن مقذوفات المدافع لا تندفع في داخله، بينما لو شُيّدت من الطوب أو الحجر فإن مقذوفات المدافع ستهدمها، فاستخدموا الطين المُخمر بالماء والمعروف محلياً باسم (الجالوص)، وهو يخمر في المياه، ويُضرب في الأرض كثيراً ليتم طرد الهواء منه فيتماسك، وهذه الطريقة تجعله يمتص

الصدّات)، ويذكر النحات "محمد أ بكر حسن" أنه تم استخدام تراب الرقبة الموجودة في مدينة أم درمان، وهو يجعل الطين المصنوع منها شديد الصلابة لأنه لا ينوب بسهولة عند هطول الأمطار عليه<sup>(٧٩)</sup>، ويضاف له التبن (القش) وروث البهائم (يعرف محليا باسم الزباله)، ولذلك يكون الخليط مقاومًا لمياه الأمطار.

وبذلك تكون الطابية في عصر الدولة المهديّة بُنيت من مواد بناء محلية بسيطة متوفرة في البيئة المحيطة، وإن كانت تختلف من طابية لأخرى، فاستخدم الجالوص وكذلك التراب والرقبة في تشييد طابية شمبات لتوفرها في التربة المحيطة بهما، كما استخدمت الأخشاب في عمل دعائم بعض المزاعل وفتحات المراقبة إلى جانب الحجر لأن الطابية مشيدة في موقع تتوفر فيه الأشجار العالية بكثافة، واستخدم التراب المكون من الحصى وقطع الأحجار المختلفة الأنواع في طابية الحتانة، ولما كانت تربة منطقة السرحة جيرية نلاحظ وجود الجير بكثرة مع الحصى وقطع الأحجار المختلفة في طابيتي السرحة الشمالية والجنوبية، واستخدم التراب الخالي من الحصى وقطع الأحجار في طابية الدباغة، واستخدم التراب والجالوص في طابية توتي مع تشييد عضداتي فتحات المدافع من التراب المكون من الرقبة والحصى وقطع الأحجار لتماسك وقوة هذا الخليط من مواد البناء.

#### ٤ - هندسة أساسات الطوابي:

ترتبط تكنولوجيا البناء وهندسة وضع الأساسات ارتباطاً وثيقاً بالمكان الذي تُشيد فيه، وخاصة من ناحية طبيعة السطح وطوبوغرافيته ومقدار تحملها للمباني، كما أن متانة الأساسات هي التي تُحدد الصورة العامة لارتفاعها، ومن خلال الدراسة والمشاهدات الميدانية للطوابي الباقية، يتضح أن البنائين اعتمدوا على الأساسات الطبيعية حيث يعتبر سطح التربة هو الأساس نفسه بعد تهيئته، ربما لأن قرار بناء هذه الطوابي أتخذ على عجل، حيث تزامن بناؤها مع بدأ حملة كنتشنر على السودان، وعملية حفر الأساسات وبنائها من العمليات التي تستغرق بعض الوقت للاهتمام بها لتكون متينة فتتحمل الثقل الواقع عليها، وهو ما يُعزي أن هذه الطوابي جاء بناؤها أقرب للسواتر التي تستر الشخص الواقف خلفها، وتؤدي غرضه في الدفاع والهجوم، واعتقد أن البنائين استعاضوا عن تأسيس أساسات محفورة في باطن الأرض بأساسات سطحية يتخللها مداميك من الأحجار، كما في طابية الحتانة وطابية الدباغة وطابية جزيرة توتي، كما جعلوا حوائطها سميكة من أسفل ويقل سمكها كلما ارتفع بها، كما أنها قليلة الارتفاع، ويمكن متابعة ذلك من خلال وصف الطوابي السابقة دراستها .

#### ٤ - العناصر الدفاعية والتسليح بالطوابي:

لم يفتن قادة المهديّة للتحوّل للهام والنوعي في إدارة أسلوب الحرب والقتال واستراتيجية الأسلحة النارية المتطورة التي غيرت من موازين الحرب والتي

<sup>(٧٩)</sup> مصطفى، صلاح الدين. "مبنيّة من الطين" . <https://www.alquds.co.uk>

استخدمها الإنجليز، فنوعية الأسلحة التي استخدمها جيش الخليفة كانت لا ترقى أو تُماثل الأسلحة التي كانت موجودة على الساحة.

فقد شاركت طوابي المهديّة في معركة أم درمان بالأسلحة الكلاسيكية المتمثلة في السلاح الأبيض ذات المستوى القتالي المتواضع المتمثلة في الحراب والسيوف التي انقضى زمنها ووقتها، إلى جانب بعض الأسلحة النارية التي كانت غالبيتها من ماركات قديمة وقد تسلح بها جنود الطوابي، ومجموعة من البنادق القديمة التي كانت تعاني الكثير من المشاكل في الصيانة والذخيرة، وهذا بالإضافة إلى ما قام به بعض الجنود بنشر مواسير بنادقهم الطويلة حتى يتسنى حملها والتعامل معها، الأمر الذي أثر بدوره في اختلال دقة التصويب ومدى طلقات البندقية<sup>(٨٠)</sup>.

كل ذلك جعل هذه الطوابي لم تف بالوظيفة الدفاعية التي أنشئت من أجلها، حتى وُصفت بأنها كانت مصيدة للشهادة في سبيل الله، فمثلاً طابية السجن كانت مزودة بمدفع كروب واحد، ومدفع أوردي واحد، و مدفع رشاش متراليوز، وهو أهم المدافع التي استخدمها جيش الخليفة في معركة أم درمان، وكانت طابية توتي الشمالية وطابية الحتانة مزودة بمدفع جبلي، ويدل تدمير طابية خورشمبات دون أن تتمكن من أداء مهامها الدفاعية أثناء معركة أم درمان فالمدافع التي كانت بها لم تكن بالمدى الذي يتيح لها إصابة بوارج العدو، ومع ذلك تبقى الطوابي رمزاً مادياً شاخصاً لآخر معركة خاضها السودانيون في الدفاع عن بلادهم ضد عدوهم.

## ٥- فتحات المدافع:

يقول تحصين المبنى كلما زادت عدد الفتحات به وهو ما جعل الباحث صلاح عمر الصادق يعتقد أن الفتحات المشابهة والموجودة في جزيرة توتي قد تكون قد استحدثت وقت المعركة أو بعدها لأن الفتحات تكشف من بالداخل، ولكني أعتقد أن هذه الفتحات حسب حسابها عند تشييد هذه الطوابي، فقد ظهرت واضحة في صورة التقطت عام ١٩١٢م لإحدى طوابي السبلوقة (لوحة رقم ٢)، كما ذكر تشرشل أن الطوابي تحتوي على فتحات للمدافع، وأعتقد أن وجودها يساعد على دخول وخروج المقاتلين أو إمدادهم بما يحتاجون في أوقات السلم، وهي لا تكشف من بداخل الطوابي إلا لمن اقترب منها وبشكل محدود، وبالنسبة لكشفهم من سفن العدو فإن هذه الفتحات كانت لها سواتر قصيرة على جانبي كل فتحة يحجب الرؤية عن خارج الطابية، كما أوضحته الصور الأرشيفية في بعض الطوابي (لوحة رقم ٤)، كما أن تشابه التصميم بين الطوابي المستديرة الثلاث الباقية (توتي والحتانة وشمبات) يجعل من فرضية وجود هذه الفتحات عند بنائها أمراً قائماً.

## ٦- الطوابي وفيضان النيل:

الملاحظ أن اختيار موقع الطوابي روعي فيه إلى حد كبير تجنب الآثار السلبية لهذه الظاهرة، لذلك نلاحظ أن معظمها تم تشييده في الأشهر السابقة للفيضان في شهور

(٨٠) عباس، فيصل أحمد. "استراتيجية الأسلحة".

مايو ويونيه ١٨٩٨م قبيل نشوب معركة كرري، فمثلا طوابي السجن الحتانة والسرحة الشمالية والجنوبية شيدت على مرتفع من الأرض مما جعلهم في مأمن من التعرض لخطر الفيضان أو تسرب المياه في التربة بسبب الأمطار الغزيرة، كذلك طابية توتي تم تشييدها أعلى الجسر تبعد عن شاطئ النهر، مما وفر لها الحماية النسبية من الفيضان وخاصة أن طابية توتي الجنوبية قد هدمت بسبب الفيضان.

#### ٧- الأخطار التي تتعرض لها الطوابي:

تتعرض أساسات وجدران طابيتي شمبات وتوتي للخطر بسبب زحف الغطاء النباتي، كما تتعرض طابيتي الملازمين الجنوبية والدباغة لخطر الفيضان وتجمع مياه الأمطار الغزيرة بجوار الجدران، كما تتعرض بعض الطوابي لأخطار الحفر في الجدران من بعض الحيوانات، كما حدث في طابية الدباغة.

#### ٨- التعديلات الإنشائية التي طرأت على الطوابي:

تم فتح باب في الجزء الأوسط لطابية عبد القيوم، وهذا مخالف للتخطيط الأصلي للطابية، أغلقت فتحات المدافع في طابية الملازمين الشمالية(السجن)، وطابية الدباغة، كما أغلقت بعض المزاعل في عمليات اللياسة والتي ظهرت في طابيتي الملازمين الجنوبية والدباغة.

#### -الخاتمة:

-عرف السودانيون تشييد التحصينات منذ القدم، فهناك أدلة ومؤشرات على بناء القلاع في مملكة كرمة، ثم في فترات التوغل المصري إلى الجنوب، وتشييد القلاع للحفاظ على الحدود، وكذلك شيدت الحصون والقلاع في الحضارة النوبية المسيحية، والتي أُعيد استخدامها من قبل مملكة الشايقية، وظهرت الطوابي كنوع من التحصينات البسيطة سريعة الإنشاء في نفس الوقت، وقد شيدها النوبيون لدرء خطر الشايقية، وشُيِّدت في عصر محمد علي، وفي فترة الحكم التركي وخاصة بعد ظهور المهديّة.

- شُيِّدت الطوابي في زمن المهديّة، وجاء تشييدها متزامنا للهجوم الإنجليزي المصري على السودان، فشيد قواد الخليفة عبدالله بعضًا منها، وحفروا الخنادق في مناطق المعارك، وكان الغرض من هذه التحصينات أن تُساعد جيش المهديّة في وقف تقدم الجيش الإنجليزي، ثم شُيِّدت طوابٍ أخرى في السبلوقة الخرطوم والخرطوم بحري وتوتي وأم درمان، إلا أن تأثيرها في قصف قوات العدو وسفنه الحربية كان ضعيفًا، فُصِّفت هذه الطوابي قبل معركة أم درمان، ولم تكن طوابي المهديّة إلا إرثًا معماريًا لأحد أنواع التحصينات التي عرفت في السودان منذ أقدم العصور.

#### - نتائج البحث:

- اتضح من خلال الدراسة التي قمت بها أن الطوابي تعتبر بمثابة مرآة عكست واقعًا حقيقيًا للحقبة التاريخية التي شُيِّدت فيها، وما واكبها من أحداث سياسية وعسكرية.

- أبرزت الدراسة تدخل الموضع والموقع الجغرافي في تحديد الملامح الأساسية لتشييد الطوابي من خلال توفير مواد البناء، أو التوجيه الجغرافي نحو نهر النيل لصد هجمات العدو.

- أكدت الدراسة من خلال دراسة الطوابي أن التراث الحضاري والأثري السوداني ذات طابع محلي ناتج من البيئة السودانية بمفهومها الشامل طبيعية كانت أو حضارية، ولم يتأثر موروثها المعماري بالأنماط المعمارية التي سادت في الشرق والغرب الإسلامي.

- أكدت الدراسة من خلال الشواهد المعمارية المتبقية من الطوابي تشابهها إلى حد كبير، وهذا التشابه لم يكن ليوجد لو لم يكن هناك تجاوب طبيعي بين البنائين والبيئة الطبيعية باعتبارها انعكاساً متلائماً مع طبيعة الأرض التي فرضت نوعاً من الوحدة في تصميمها وبنائها، ويتجلى ذلك في تكويناتها المعمارية.

- استعرضت الدراسة مدى استفادة البنائين في أم درمان لمعطيات البيئة الطبيعية لمواد البناء والطلاء التي أستخدمت في تشييد الطوابي.

- أكدت الدراسة أن قوة التحصينات لم تكن هي الأساس في حسم المعارك بين طرفي الصراع، بل كان لتفوق وتطور التسليح وما تنقله الجوايسيس التي ترسلها مخابرات الجيش الإنجليزي لتبث بين الناس ما يريده من أخبار دور في انتهاء المعارك لصالحه.

#### - التوصيات:

- أقترح مشروعاً للتسجيل المعماري للآثار بمدينة أم درمان عامة وللطوابي خاصة على أن يشمل المشروع حصراً لما يجب تسجيله وينطبق عليه قانون حماية الآثار السوداني لعام ١٩٩٩م في المادة رقم ٣ من الفصل الأول الأحكام التمهيدية، ووضع دليل لهذه الآثار.

- توصي الدراسة بأن تقوم الهيئة العامة للآثار والمتاحف بتعهد الطوابي بالصيانة والترميم سنوياً وخاصة بعد فصل الخريف للتأثير السلبي للأمطار الغزيرة على جدران الطوابي وخاصة العلوية، وعلى فتحات المزاعل.

- مراقبة عملية الصيانة وخاصة عملية اللياسة.

- القيام بزيارات منتالية للطوابي لمتابعة ما يقع عليها من تعديلات.

- المحافظة على البقية الباقية من طابيتي السرحة الشمالية والجنوبية.

- إزالة الأشجار والنباتات البرية التي تنمو بجوار الطوابي وبدخلها.

- غلق الباب الموجود في طابية عبد القيوم حيث إنه مخالف للتخطيط الأصلي للطابية.

- إعادة فتح فتحات المزاعل التي أغلقت فيما سبق من صيانة للطوابي.

- نشر الوعي الأثري والثقافي للحفاظ على الطوابي كتراث تاريخي.

- توثيق أقوال الرواة الشفويين.

**-المصادر والمراجع:**

**١- المصادر:**

- أبو شامة، عبد الحمود. "من أبا إلى تسلهاي حروب حياة الإمام المهدي"، المطبعة العسكرية، الخرطوم، ١٩٨٧م، ص ٢٢٣.

- التونسي، محمد بن عمر. "تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان"، حققه خليل محمود عساكر، مصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

- شقير، نعيم. "تاريخ السودان" تحقيق د محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجبل، بيروت، ١٩٨١م ص ص ٨٧١، ٦٤٧، ٨٨١-٨٨٥، ٨٨٢، ٨٨٧، ٨٩٤، ٩٢٦-٩٦١، ٩٤٧، ٩٤٤، ٩٢٧، ٩٦٢.

- سلاطين، كارل ردولف. "السيف والنار في السودان" تعريب جريدة البلاغ، مطبعة البلاغ، السودان، ١٩٣٠م، ص ص ١٢٩، ٢٧١.

**٢- المراجع العربية والمعربة:**

- أبو سليم، محمد إبراهيم. "أم درمان العاصمة التوأم (٤)"، مجلة الخرطوم، العدد العاشر، يوليو، ١٩٦٦م، ص ١١.

- ..... "أم درمان العاصمة التوأم (٥)"، مجلة الخرطوم، العدد الحادي عشر، أغسطس ١٩٦٦م، ص ٦.

- ..... "الخصومة في دولة المهديّة، كتاب في تاريخ فكر المهديّة إسلاميا وسودانيا"، الطبعة الأولى، مركز أبو سليم للدراسات، الخرطوم، ٢٠٠٤م، ص ١٤٧.

- ..... "تاريخ الخرطوم"، الطبعة الأولى، مركز أبو سليم للدراسات، الخرطوم، ٢٠٠٨م، ص ص ٨٩، ١١٥.

- ابن عوف، ميرغني عبدالقادر. "أم درمان عبر الزمان، ١٨٨٥ - ١٩٥٦م"، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان السودان، إبريل ٢٠٠٩م، ص ١٩٤.

- أحمد، محمد فتح الرحمن. "العمارة الإسلامية بمحلية مروى"، سلسلة كتاب سنار (٤٢)، الطبعة الأولى، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ٢٠١٧م، ص ص ٦٠، ٥٨، ٧٩ - ٨١، ٨٦، ١٢٩، ١٥٤، ١٤٧، ١٤٥، ١٣٠، ١٥٩ - ٢٣٩.

- إسحق، إبراهيم آدم. "معجم اللهجة العامة الدارفورية (الأصول العربية للهجة دارفور العامية) القروية"، الطبعة الأولى، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الخرطوم، ٢٠١١م، ص ص ٢٤٤.

- بكر، محمد إبراهيم. "المدخل إلى تاريخ السودان القديم"، دار المعارف، ١٩٩٨م، ص ص ٣١-٣٢.

- تشرشل، وينستون. "تاريخ الثورة المهديّة والاحتلال البريطاني للسودان"، الطبعة الأولى، دار الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص ١٣٩-١٤٠، ١٤٢-١٤٣، ١٩٠، ١٩١ - ٢٣٧، ١٩٣.

- ثيوبرلد، أ.ب. "المهديّة تاريخ السودان الإنجليزي-المصري"، ترجمة محمد مصطفى حسن، الطبعة الأولى، مركز عبدالكريم الميرغني الثقافي، أم درمان ٢٠١٠م، ص ص ٣٩-١٥٦، ٤٤-٢٥٩، ١٥٧.

- زلفو، عصمت حسن. "كرري تحليل عسكري لمعركة أم درمان"، الطبعة الثالثة، دار الطباعة، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٩٥م، ص ص ١٩٤، ٢٥١، ٢٢٤، ٢٠٧، ٢٦٣-٢٥٦، ٢٧٩، ٢٦٥، ٣٤١-٢٨٢، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٣ - ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٢، ٥٠١، ٥٦٦، ٥٦٧.

- سعيد، عبدالرحمن إبراهيم. "الأثار العثمانية في السودان من القرن السادس عشر الميلادي حتى القرن التاسع عشر الميلادي (أثار مانسيه الأثار)"، سلسلة كتاب سنار (٢٣)، سنار عاصمة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ٢٠١٧م، ص ص ١٤١، ١٤٩، ١٨٧، ٢١٦.

- سيد أحمد، أحمد أحمد. "تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري ١٨٢٠-١٨٨٥م"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ٤١٨-٤٢٣.
- شببكية، مكي الطيب. "السودان عبر القرون"، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م، ص ص ١٠٢-١٠٣، ٢٠٦، ٣٥٣، ٢٤١، ٤٤٦، ٤٣٧، ٤٣٤، ٤٦٩، ٤٥٩، ٤٥٦، ٤٦٨، ٤٧٠، ٨٧٠.
- ..... "السودان والثورة المهدية"، ج٤، الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ١٩٨٤م، ص ٥٩.
- الجمل، شوقي. "تاريخ السودان وادي النيل وحضارته" وعلاقته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٧٠٩ - ٧١١.
- الصادق، صلاح عمر. "طوابي المهدية تراث ثقافي موروث"، مقال بكتاب دراسات سودانية في الآثار والفلكور، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم ٢٠٠٦م، ص ص ٢٣٩، ٢٤٣-٢٤٦.
- .....، "تقرير عن طابية توتي ١٩٨٧/٦/١٩م"، مقال بكتاب المواقع الأثرية بالسودان، الطبعة الأولى، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم ٢٠٠٦م، ص ص ٩٠-٩١-٩٢.
- .....، "آثار وصيانة الباخرة ملك"، مقال بكتاب دراسات سودانية في الآثار والفلكور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم ٢٠٠٦م، ص ص ١٤٤-١٤٥.
- .....، الآثار الإسلامية في منطقة الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١٥م، ص ص ٨٢-٨٣.
- الصاوي، عبدالعزيز حسن/جادين، محمد علي. "الثورة المهدية مشروع رؤية جديدة"، الطبعة الأولى، شركة الفارابي للنشر، الخرطوم، ١٩٨٧م، ص ص ١١١-١١٥.
- فوزي، إبراهيم. "كتاب السودان بين يدي غوردون وكنتشنر"، جزءان، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج١، ص ١٥، ج٢، ص ٢٩٢.
- ماهر، سعاد. "البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٣٧٢.
- المحاري، أحمد سليمان. "حفظ المباني التاريخية، مباني من مدينة المحرق". المركز الإقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي، ايكروم، الشارقة، ٢٠١٧م، ص ص ١٣٣-١٣٤.
- نصرالدين، محمد عبدالقادر. "العسكرية في الممالك والسلطنات السودانية، ٧٥٠ ق.م-١٨٨٥م"، المطبعة العسكرية، الخرطوم ٢٠٠٩م، ص ص ١٠٤-١٠٥.
- ويليام، آدمز. "النوبة رواق أفريقيا"، ترجمة محبوب التيجاني محمود، الطبعة الأولى، شركة مطبعة الفاطمية إخوان، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ص ١٥٢-١٥٣، ١٥٥-١٥٧.
- الهادي، المقداد، وآخرون. "مواد البناء في السودان"، بحث تكميلي في الهندسة المدنية، جامعة بحري، قسم الهندسة المدنية، كلية الهندسة والعمارة، ٢٠١٧م.
- هل، ريتشارد. "معجم تراجم أهل السودان"، ترجمة عبدالحميد، سيف الدين. النعيم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠١٦م، ص ٣٩.
- هولت، ب.م. "الدولة المهدية بالسودان" ترجمة جميل عبيد، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص ٢٧١.
- ياجي، فيفيان أمينة. "رجال حول المهدي"، ترجمة مكي بشير، الطبعة الأولى، شركة بيت الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم ٢٠٠١م، ص ص ٣٦-٩٣، ٤٢-٩٥.
- ..... "ال خليفة عبدالله حياته وسياسته"، ترجمة مكي بشير مصطفى، المروة للطباعة والنشر، الخرطوم، ٢٠١١م، ص ٢١.
- يحیی، سوسن سليمان. "منشآت السيف والقلم في الجهاد الإسلامي" مكتبة الشباب، ١٩٩٨م، ص ٥٠.

### ٣- الرواة الشفويين:

- فيصل محمد موسى بروفيسور التاريخ كلية الآداب جامعة النيلين.
- حسن عمر أحد شيوخ أم درمان.



٤- المراجع الأجنبية:

- Hill, Richard. "Biographical, Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan." Oxford,1951" pp. 224 ,254.
- Holt, P. M. "a modern history of the Sudan from the Funj sultanate to the present day." London,1963, p.115.
- Ibrahim, Hasan. "the policy of the condominium government towards the Mahdist political prisoners." 1898-1932, Sudan notes and records, no.55, vol, lv,1974, PP.33-445.
- Rehfish, F. "a sketch of the early history of Omdurman." Sudan notes and records, no.45, vol, xlv,1964, p.35-47.
- Steevens, G.W. " with Kitchener to Khartoum." twenty-second edition, New York,1898,P.114.
- Voll, John Obert." Historical dictionary of the Sudan." London,1978, p.28.
- Wingate, F. R. "Ten years' captivity in the Mahdi's camp 1882-1892 from the original manuscripts of father Joseph Ohrawalder." London,1986. pp.15, 313,324.

٥- المواقع الإلكترونية:

- موقع وزارة الدفاع السودانية، أحمد عباس، فيصل، "إستراتيجية الأسلحة النارية في معركة كرري"، ٢٣/ ٥/ ٢٠١٩م.
- موقع جريدة القدس العربي الإلكترونية، مصطفى، صلاح الدين. "مبنية من الطين على ضفاف النيل (طوابي أم درمان) دفاعات جيش الثورة المهديّة قبل أكثر من قرن" ١٧ / ١٢ / ٢٠١٧م.

[http:// www.Anasudani.net](http://www.Anasudani.net) 19/2/2019

<https://www.Google.com.earth> 31/1/2019 / 1/6/2019

## اللوحات:



لوحة رقم ٢ المدخل الرئيسي في طابية توتي الشمالية من الداخل، تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١ أحد طوابي السبلوقة على النيل، صورة ترجع لعام ١٩١٢ م. عن :

[http:// www.Anasadani.net](http://www.Anasadani.net) 19/2/2019



لوحة رقم ٤ المسافة بين فتحة المراقبة الجنوبية الغربية، والفتحة الغربية في طابية توتي الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣ المسافة بين المدخل الرئيسي وفتحة المراقبة الجنوبية الغربية من داخل طابية توتي الشمالية، تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٦ المسافة بين فتحة المراقبة الشمالية والشرقية في طابية جزيرة توتي الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٥ المسافة بين فتحة المراقبة الغربية والشمالية في طابية توتي الشمالية من الداخل. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٨ استخدام التراب الضلع الجنوبي الغربي لطابية توتي الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٧ المسافة بين فتحة المراقبة الشرقية والمدخل الرئيسي في طابية جزيرة توتي الشمالية. تصوير الباحثة.

لوحة رقم ٩ استخدام الحصى وقطع الأحجار في الكتف الأيمن لفتحة المراقبة الجنوبية الغربية في طابية توتي الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١١ استخدام الأحجار كأعتاب لفتحات المزاعل في طابية توتي الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٠ الجزء الجنوبي الغربي لطابية توتي الشمالية من الخارج، ويظهر استخدام الأحجار في الأساسات السطحية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٣ صورة أرشيفية لطابية الملازمين الجنوبية، ويظهر بها السواتر التي تتقدم فتحات المراقبة. عن عصمت زلفو، كرري.



لوحة رقم ١٢ طابية الملازمين الجنوبية. تصوير الباحثة



لوحة رقم ١٥ الجزء الجنوبي للقسم الأوسط من الداخل لطابية الملازمين الجنوبية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٤ الجزء الشمالي للقسم الأوسط لطابية الملازمين الجنوبية، ومازال الساتر الوحيد الذي يتقدم فتحة المراقبة هنا موجود. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٧ الجناح الجنوبي، والجدار المتعامد عليه لطابية الملازمين الجنوبية من الداخل. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٦ الجزء الشمالي للقسم الأوسط من الداخل ، لطابية الملازمين الجنوبية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٩ طابية الملازمين الشمالية من الجهة الشرقية تصوير الباحثة.



لوحة رقم ١٨ الجناح الشمالي لطابية الملازمين الجنوبية من الداخل، ويظهر فيه سد أحد فتحات المزاغل في الصيانة. تصوير الباحثة.





لوحة رقم ٢١ الجناح الشمالي والجزء العمودي عليه في طابية الملازمين الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٠ القسم الأوسط من طابية الملازمين الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٣ طابية الدباغة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٢ الجناح الجنوبي والجزء المتعامد عليه لطابية الملازمين الشمالية من الداخل. تصوير الباحثة.



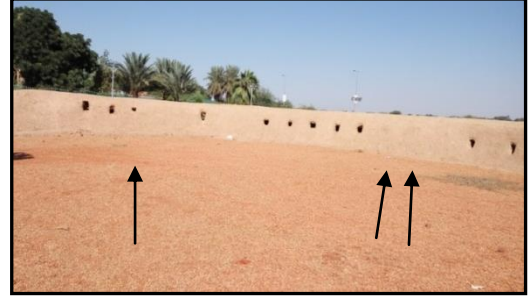
لوحة رقم ٢٥ الجانب الأيسر للقسم الأوسط في طابية الدباغة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٤ القسم الأوسط لطابية الدباغة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٧ الجناح الجنوبي لطابية الدباغة بعد الصيانة (اللياسة). تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٦ الجانب الأيسر للقسم الأوسط لطابية الدباغة، بعد الصيانة وقد سد فتحتين، ثم فتح ثالثة كانت قد سدت من قبل. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٩ تجمع مياه الأمطار في الجهة الشرقية لطابية الدباغة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٢٨ الجناح الشمالي لطابية الدباغة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣١ بقايا الجدار الشمالي لطابية السرحة الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٠ بقايا الجدار الشرقي في طابية السرحة الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٣ بقايا الجدار الشمالي لطابية السرحة الجنوبية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٢ استخدام الحجر كعتب لفتحات المزاعل، طابية السرحة الشمالية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٥ الجانب الشرقي لطابية الحتانة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٤ بقايا الجدار الجنوبي لطابية السرحة الجنوبية. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٧ المسافة بين الباب الرئيسي والفتحة الجنوبية في طابية الحتانة، من الداخل. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٦ مدخل طابية الدباغة. تصوير الباحثة.





لوحة رقم ٣٩ المسافة بين فتحة المراقبة الشرقية والشمالية في طابية الحتانة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٣٨ المسافة بين فتحة المراقبة الجنوبية والشرقية في طابية الحتانة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤١ المسافة بين الفتحة الغربية والمدخل الرئيسي في طابية الحتانة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٠ المسافة بين فتحة المراقبة الشمالية والغربية في طابية الحتانة. تصوير الباحثة.

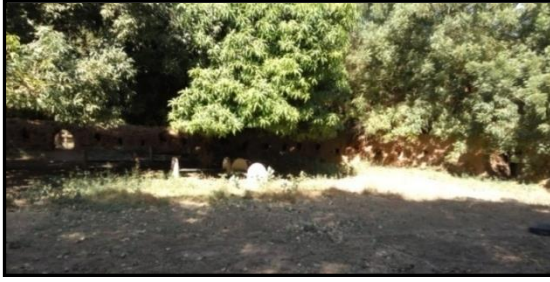


لوحة رقم ٤٣ مواد بناء في طابية الحتانة. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٢ استخدام الحجر كعتب لفتحات المزاعل في المسافة بين فتحة المراقبة الرابعة والباب الرئيسي. تصوير الباحثة.





لوحة رقم ٤٥ المسافة بين فتحة المراقبة الشمالية وبين المدخل الرئيسي في طابية شمبات. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٤ المدخل الرئيسي لطابية شمبات. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٧ المسافة بين فتحة المراقبة الجنوبية والفتحة الغربية لطابية شمبات. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٦ المسافة بين فتحة المدخل الرئيسي وفتحة المراقبة الجنوبية لطابية شمبات. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٩ أحد فتحات المزاغل في طابية شمبات، واستخدام الحجر كعتب. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٤٨ المسافة بين فتحة المراقبة الغربية والشمالية في طابية شمبات. تصوير الباحثة.



لوحة رقم ٥١ استخدام الجالوص في تشييد جدران طابية شمبات. تصوير الباحثة.

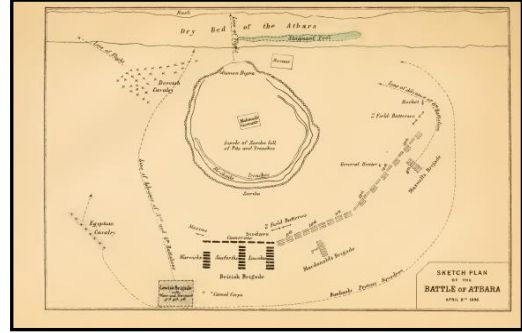


لوحة رقم ٥٠ فتحة المراقبة الشمالية في طابية شمبات واستخدام الأخشاب كعتب. تصوير الباحثة.

### الأشكال:



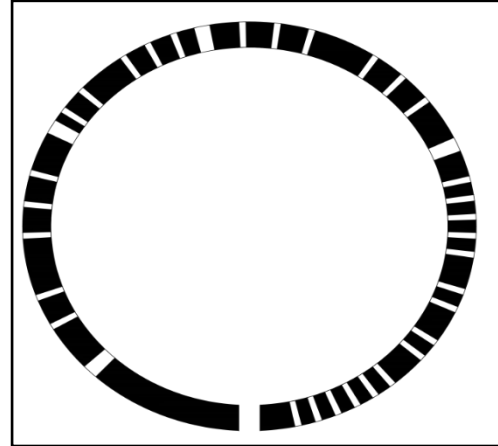
شكل رقم ٢ صورة جوية لطابية توتي عن [https://www.Google.com.earth.:](https://www.Google.com.earth.) ٢٠١٩/٦/١



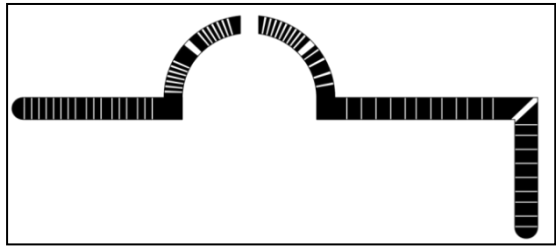
شكل رقم ١ تحصينات الأمير محمود بن أحمد في النخيلة "الخدق المستدير والزريرية". عن: Steevens, G.W. "with Kitchener to Khartum." facing page . 144.



شكل رقم ٤ صورة جوية لطابية الملازمين الجنوبية ، ويظهر الباخرة بوردين . عن <https://www.Google.com.earth.> ٢٠١٩ /٦/ ١



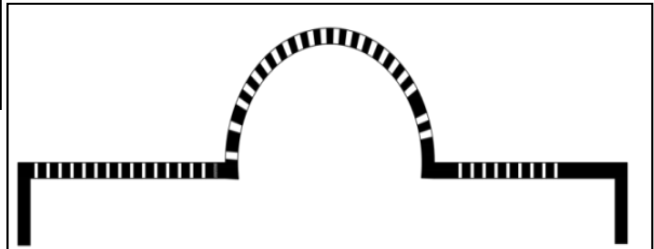
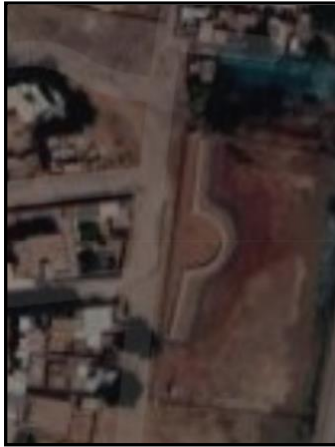
شكل رقم ٣ تخطيط طابية توتي . عمل الباحثة.



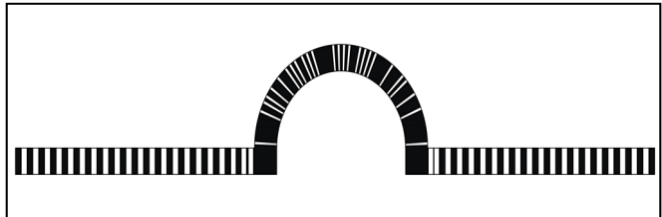
شكل رقم ٥ تخطيط طابية الملازمين الجنوبية. عمل الباحثة.

شكل رقم ٦ صورة جوية لطابية الملازمين الشمالية.

<https://www.Google.com.earth>.



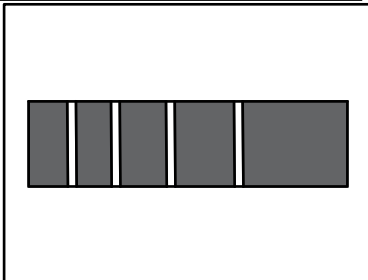
شكل رقم ٧ تخطيط طابية الملازمين الشمالية. عمل الباحثة.



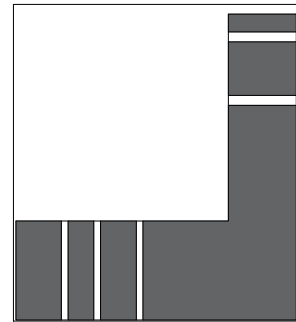
شكل رقم ٨ تخطيط طابية الدباغة. عمل الباحثة.

شكل رقم ٩ صورة جوية لطابية الدباغة. عن :

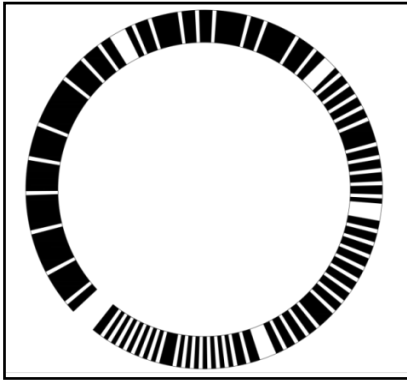
<https://www.Google.com.earth>.



شكل رقم ١١ تخطيط طابية السرحة الجنوبية. عمل الباحثة.



شكل رقم ١٠ تخطيط طابية السرحة الشمالية. عمل الباحثة.



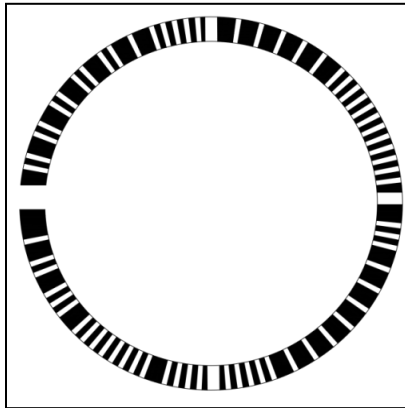
شكل رقم ١٣ تخطيط طابية الحتانة. عمل الباحثة.



شكل رقم ١٢ صورة جوية لطابية الحتانة عن

<https://www.Google.com.earth>

٣١ / ١ / ٢٠١٩م



شكل رقم ١٤ تخطيط طابية شمبات. عمل الباحثة.

## ***The forts of Mahdia remaining on the banks of the Nile Omdurman.....case study***

***Dr.Asmaa Mohammed Ismail\****

### ***Abstract:***

The period of revolution and the state of Madhya is an important period in the history of modern Sudan, which has lived most of its history in wars and military conflicts, especially internal and external against the Turkish rule, Egypt or English-Egyptian, and there fore formed defensive fortifications

Al-Tawabi is the outstanding symbol of the historical remains of the Caliph Abdullah and his leaders on the banks of the Nile to defend his capital, Omdurman. The research aimed to study the construction sites, methods, materials, as well as its current condition and the extent to which it achieved the military balance and the combat equation in the wars of Madhya against the British

The study concluded that the tawabi is one of the types of fast-constructed fortifications, and the study concluded the extent of the weakness of this type of defensive fortifications in reaching the set of goals to be reached by its construction, keeping pace with it and its efficiency for the weapons of the era in which it was established

### ***.Keywords :***

Fortifications, Forts ( Al-Tawabi) , Arrow slits

---

\*Associate Professor Islamic Monuments Department, Faculty of Archeology, Fayoum University [ami00@fayoum.edu.eg](mailto:ami00@fayoum.edu.eg)